

الأمازيغ المازري

ترجمة حياته بمناسبة مرور ثمانمائة
عام على وفاته يتقدمها بحث تاريخي عن
تسلسل السند العلمي بأفريقية من لدن
الفتح العربي الى القرن الثامن للهجرة .

منشورات

لجنة البعث الثقافي الاثري

ملتزم الطبع والتوزيع

دار الكتب الشرقية تونس

نَوَابِغُ الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ

عبد الرحمن بن عبد الوهاب

الأمام المازني

ترجمة حياته بمناسبة مرور ثمانمائة
عام على وفاته يتقدمها بحث تاريخي عن
تسلسل السند العلمي بأفريقية من لدن
الفتح العربي الى القرن الثامن للهجرة .

ملتزم الطبع والنشر

دار الكتب الشرقية تونس

الاشهاد

إلى الحبيب الأديب ، الوطني الصميم ، من ملا الله قلبه
إيماناً و إخلاصاً و وفاءً ، و رزقه من الاخلاق العالية ما أكثر محبه
و المعجيين بكمالاته :

محمد الرادى المدنى

أهدي هذا البحث ، راجياً أن يُشير من عاطفته الكريمة ما
يزيده تعلقاً بأولئك الاعلام الافريقيين ، قدوة القطر ، و فخر
المصر

عبد الوهاب

كلمة للقارى



صدور هذه الدراسة القيمة - أيها القاريء العزيز - هو بداية مشروع للنشر يتجه أولا الى خدمة الثقافة التونسية في نواحيها الشتى ، في نشر مخطوطات تونسية تمثل الفكر التونسي ، وفي بحوث مركزة حول موضوعات افريقية ، وفي التعريف الكاشف بـ « نوابع المغرب العربي » وهذه الدراسة عن الامام المازري ، والسند العلمي التونسي هي الحلقة الاولى في هذه السلسلة التي سنوافيك بكل حلقة منها في أقرب وقت ممكن إن شاء الله .

ويسرنا ان تكون الحلقة الاولى في هذه السلسلة دراسة مستفيضة عن شخصية اسلامية مجتهدة ، لعبت دورا هاما في تاريخ السند العلمي الافريقي الذي أسهب المؤلف في الحديث عنه إسهابا ممتعا ، كشف لنا فيه ناحية مجهولة وهامة ، هذه الشخصية هي شخصية الامام المازري طيب الله ثراه . . .

ويسرنا أن تكون هذه الدراسة - وهي بداية عملنا

التونسي - بقلم باحث فاضل قصر حياته المثمرة الطويلة على
خدمة تاريخنا التونسي ، والثقافة الاسلامية في هذه الربوع .
ومن عسى أن يكون هذا الرجل ان لم يكن مؤرخنا التونسي المجدد،
ومعينا في هذا المشروع صاحب المعالي الاستاذ حسن حسني
عبد الوهاب الذي يدين له كثير من الباحثين في المغرب
والشرق بالاعانة والارشاد .

هذه كلمة تعريف - أيها القارئ الكريم - بعثنا بها إليك
بمناسبة تحقيق الخطوة الاولى من خطوات متعددة ، وسنلتقي
دائما حين نعمل ، لا حين نقول .

لجنة البعث الثقافي الارضي

٥٥-٦-٧

نـوطة

فيما بين المائة الثانية وأواسط المائة الخامسة من الهجرة كانت «إفريقية» - وهي البلاد التونسية اليوم - ترفل في حُلِّ الرفاهية، وتحيط بها هالات المجد، فتفيض عليها البهاء والرواء. تعاقبت عليها أجيال من الخلائق والدول، باذلة لها ما في الوسع من جسام المساعي وجلائل الاعمال، فانتظم فيها مجتمع إفريقي ناهض ينظر الى المستقبل بعين التفاؤل والاستبشار .

وطدت تلك الاجيال والدول في إفريقية التونسية دعائم الحياة الاجتماعية السعيدة، فعملت على ترقية الفلاحة، و تنمية الصناعة، وتشيط التجارة، وتعميم العلوم والآداب، وبذلك طارصت البلاد في استكمالها أسباب الحضارة والتمدن وضرب بها المثل في ربوع العالمين .

وينا تمضي افريقية التونسية الى أوج العزة والازدهار إذ رماها الزمن بداهية دهياء، زعزعت منها القواعد وردتها على الاعقاب، وأقامت فيها مأتما بعد عرس .

كانت تلك الكارثة التي حلت بالبلاد ، ولم يكن لها
بمثلها عهد منذ تاريخها الاقدم ، أنها فقدت وحدتها السياسية ،
وأضاعت سلطانها المركزي ، فاختل توازنها ، وانهارت حضارتها
في أقل من عام .

هجم على إفريقية التونسية بنو هلال وبنو سليم ، ولا
كهجوم التتر على بغداد - وذلك في سنة ٤٤٩هـ كآتهم السيل
العرم يتدافع على البطاح ، أو كآتهم الجراد المنتشر يحط على
الحقول النامية ، وما هي الا ان هدمت القصور والابنية ،
وخربت المسالك والميادين ، وعانت في عمران البلاد يد الدمار .
وأصابت النكبة - أول ما أصابت - مدينة القيروان ، أم
القرى المغربية ، وعاصمة الحضارة العربية ، فأصبحت خاوية على
عرشها ، يهيم أهلوها على وجوههم في أرجاء الارض العريضة
ما بين أصقاع المغرب والاندلس ، الى العراق ، الى ما وراء النهر .
فارق العلم والادب والفن ربوع القيروان ، ومضى يلم
شتاته ، ويجمع بقاياها ، ملتسالة ملاذا في المهديّة وسوسة
وبعض القرى الساحلية الاخرى .

وكذلك انهوى ركن العلوم الشرعية الذي تواصل قيامه منذ الفتح العربي ، وكاد يندثر لولا بقية صالحة من أولي العزم ، حفظوا تعاليم الشريعة ، واحتضنوا تراث الرواية ، وصانوا سبيل التلقي عن الاسلاف ، وبذلك سلم لهم السند العلمي ، فمكفوا عليه يحوطونه وينفون عنه الزيف ، حتى أسلموه الى الاخلاف ؛ لكي يتابعوا نشره اعلاء لكلمة الله !

في طليعة هؤلاء الافذاذ البررة ، ذلك الحبر الذي خصصنا ترجمته بتلك الاوراق ، وهو (الامام المازري) ... وكان الاقدار ناطت به جمع ما تبدد من منهج السند العلمي القديم القويم ، واستنقاذه من العبث الذي جرّ اليه الطغيان والجهالة والهمجية في تلك الحقبة من تاريخ إفريقية التونسية .

ويحق لتاريخ العلم في هذا البلد الطيب أن يعد الامام المازري العروة الوثقى بين الماضي الزاهر لتعاليم الحنيفة السمحة ، وبين العصور الوسطى في تاريخ الاسلام .

ولكي تتجلى مزية المازري في هذا الصدد ، تقدم بين يدي ترجمته الإمامة تعرف بها كيف تواصل السند العلمي في الشريعة

منذ بزوغ نجمه إلى زمن امامنا الفذ ، وما يليه من العصور الى
قريب من يومنا المشهود .

نشأة العلم الاسلامي

ظهر علم الشريعة أول ما ظهر في إفريقيا- وخاصة في
القيروان - على يد الصحابة فالتابعين الوافدين على المغرب إبان
الفتوح ، عن هؤلاء وهؤلاء كان تسلسل السند ، فتلقاه منهم
نشأة العرب المولدون ، وأبناء الافارقة والبربر ممن دخلوا في
الاسلام ، فما يكاد هذا النشء يحفظ القرآن حتى يروي عن
أولئك الفاتحين ومن اليهم سنة رسول الله ، وهي المنبع الثاني
للشريعة ، والاصل التالي للقرآن العظيم في استخلاص أحكام
الدين .

وقبل أن نسرده لك أشهر من حملوا العلم ، ورووا الحديث
في إفريقيا ، وهم الذين يتسق بهم السند العلمي الافريقي ،
نستهل البحث بذكر بعض من وفدوا على البلاد وأقاموا بها بعد
الفتوح . وقد روى عنهم الحديث والآثار رجال من التابعين

الاولين الذين اتخذوا تلك البلاد وطنا لهم، بعد أن مهدت بها سبل الإقامة بتأسيس مدينة القيروان وغيرها من المدائن العربية.

البعثة الدينية

كان في مقدمة هـ- ولاء « العشرة التابعون » الذين عينهم الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة مائة من الهجرة؛ لتفقيه الافارقة في الدين ، وإرشادهم إلى هديه ، وإشراهم مُثَلِّه العلياء، ونحن نخص بالذكر منهم :

- إسماعيل بن أبي المهاجر المخزومي ، عامل عمر بن عبد العزيز على المغرب، ورأس البعثة الدينية، فقيه صالح ، يروي عن عبد الله بن عمر ، وفضالة بن عبيد ، وروى عنه الاوزاعي بالمشرق ، وعبد الرحمن بن زياد وغيره بالقيروان ، وعلى يده أسلم العدد الغالب من البربر ، وكان على إسلامهم حريصا ، مات بالقيروان سنة ١٢٢ هـ .

- عبد الله بن يزيد المعافري المعروف بالحُبلي، يروي عن جماعة من الصحابة ، منهم : أبو أيوب الانصاري ، وعبد الله بن

عمرو بن العاص ، وعقبة بن عامر الجهني ، وغيرهم ، شهد فتح
الاندلس مع موسى بن نصير ، ثم استوطن القيروان ، واختط
بها دارا ومسجدا وكتابا في ناحية باب تونس ، وانتفع به جماعة
من الافارقة ، وبث فيهم علما كثيرا ، مات سنة ١٠٠ هـ وقبره
بالقيروان معروف .

- عبد الرحمن بن رافع التبوخي ، من فضلاء التابعين ، يروي
عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعن جماعة من الصحابة ،
وعنه يروي عبد الرحمن بن زياد وغيره ، وهو أول من تولى
القضاء بالقيروان بعد بنائها ، ولاة إياه الامير موسى بن
نصير سنة ٨٠ هـ وكان عدلا في أحكامه ، وهو الذي يروي عن
عبد الله بن عمرو بن العاص : « ان رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - مرّ بمجلس قوم يدعون الله ويرغبون اليه ، ومرّ بقوم
آخرين يتعلمون الفقه ، فقال : كلا المجلسين على خير ،
وأحدهما أفضل من صاحبه ؛ أما هؤلاء فيدعون الله عز وجل ،
ويرغبون اليه ، إن شاء أعطاهم ؛ وإن شاء منعمهم ، وأما هؤلاء
فيتعلمون الفقه ، ويعلمون الجاهل ، فهم أفضل ، وإنما بعثت

معلما ، فجلس معهم ، أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو ؛
وتوفى ابن رافع بالقيروان سنة ١١٣هـ .

- ومنهم إسماعيل بن عبيد الانصاري ، كان من العلماء
الفضلاء ، يروي عن عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ،
وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم ، ويروي عنه من أهل
إفريقية بكر بن سوادة الجذامي ، وعبد الرحمن بن زياد
وسواهما ، ومن مواليه عبد الملك بن أبي كريمة الآتي ذكره ،
وانتفع به خلق كثير من الافارقة ، وهو الذي بنى المسجد
الكبير المعروف « بمسجد الزيتونة » في القيروان ، كما أنشأ بها
سوقا للتجارة غربي مسجده ، كانت تسمى « سوق إسماعيل »
وقد خرج مجاهدا على سبيل التطوع في إحدى غزوات صقلية ،
ففرق في البحر سنة ١٠٧هـ .

وما من واحد من بقية « العشرة التابعين » إلا كان يروي
الحديث عن الصحابة ، ويتقن التفسير والفقہ ، والا اتخذ دارا
لسكناه ، ومسجدا لصلاته ، وكتابا لتعليم الناشئة ، وقد تفقه

على أيديهم جمع كبير ، هم المرّبون الاولون لآبناء البلاد، وهم الذين لقنوهم علوم الشريعة .

ومن التابعين الذين دخلوا إفريقية وكثرت عنهم الرواية :

- يحيى بن سعيد بن فهد الانصاري ، وجده فهد من الصحابة ، وكانت ابنته خولة زوج حمزة بن عبد المطلب عمّ النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ولد يحيى بالمدينة ، وروى الحديث عن جماعة من الصحابة ، منهم : أنس بن مالك ، ومعاذ ، والسائب بن زيد ، وعمرّة بنت عبد الرحمن ، وقد روى عنه أغلب أئمة الاجتهاد ، مثل أبي حنيفة النعمان ، ومالك بن أنس ، والليث بن سعد ، والزهرى ، والاوزاعي ، وغيرهم ، وكان يحيى فقيها محدثا ثقة مأمونا ، قيل إن جملة ما كان يحمله من الحديث : ثلاثمائة يسندها إلى وجوه من الصحابة والصحائيات ، ودخل يحيى إفريقية على رأس القرن الثاني للهجرة أرسله إليها الخليفة عمر بن عبد العزيز عاملا على الصدقات خاصة ، ونزل يحيى مدينة تونس ، وجالس بها خالد

ابن أبي عمران التُّجيبِي ، وأخذ كل منهما عن صاحبه ، كما
سمع منه خلق كثير من أبناء تونس والقيروان ، ومما هو جدير
بالملاحظة أن رواية الافارقة للحديث كانت أكثر ما كانت
بطريق المدنيين وسندهم ، ويلوح لي أن ذلك هو السبب
الاصيل في ميل الافارقة من بعد إلى الاخذ بأراء أهل المدينة
في الفقه ، وإيثار الكثير منهم لمذهب مالك بن أنس وصحبه وقد
قال الامام الشافعي : « إذا جاوز الحديث الحرمين (المدينة
ومكّة) فقد ضعف نخاعه » (١)

ومهما يكن من أمر فقد سار يحيى في إفريقية سيرة الاخيار
البررة الساعين لنشر تعاليم الملة السمحة ، السالكين سبيل
العفة والنزاهة في القول والعمل ، وأقام يحيى في تونس نحو
عشرين سنة بث في أثنائها علما كثيرا ، وأخلاقا مرضية ،
وتوفي سنة ١٤٣ هـ (٧٢٠)

مشاركة الافريقيين في العلم

وبين الرعيال الاول من الافارقة الذين حملوا العلم الاسلامي :

(١) كتاب (آداب الشافعي ومناقبه) طبع القاهرة ١٣٧٢ ص ٢٠٠

- خالد ابن أبي عمران التجيبي ، وهو تابعي ابن تابعي ، كان أبوه ممن صحب قديما عبد الله بن سلام الصحابي ، ثم قدم مع جيش حسان بن النعمان سنة ٧٤ هـ. واستقر في مدينة تونس ، وولد له خالد ، فقرأ على أبيه وعلى غيره من حفظة القرآن ورواة الحديث ، ثم رحل إلى المشرق وسمع من أعلامه ، وروى عنه غير واحد من كبار الائمة ، مثل الليث بن سعد ، وعبدالله بن لهيعة وغيرهما ، وروى له مسلم في صحيحه ، وكذا أبو داود والترمذي والنسائي ، كما روى له مالك بن أنس في الموطأ بسند يحيى بن سعيد الانصاري ، وعاد خالد إلى إفريقية مزودا برواية زاخرة نقلها عنه جماعة من أبناء البلاد ، مثل عبد الملك بن أبي كريمة ، وعبد الرحمن بن زياد وسواهما ، وتولى خالد قضاء إفريقية في ولاية عبد الله بن الحجاب ، وتوفي سنة ١٢٣ هـ وقد ترك ديوانا كبيرا في الحديث فيه مروياته عن تابعي المدينة .

- عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافري ، كان أبوه ممن وجوه التابعين ، وقد ولد له عبد الرحمن سنة ٧٤ هـ وجد حسان ابن النعمان في دخوله إلى إفريقية. روى جانبا كبيرا من الحديث

على من كان في زمانه من التابعين المقيمين في إفريقية مثل خالد ابن أبي عمران ، وروى على الفقهاء الذين أرسلهم الخليفة عمر ابن عبد العزيز مدة خلافته؛ لتفقيه أبناء المغرب، ثم رحل في طلب العلم الى المشرق : مصر والشام والحجاز والعراق وصحب أبا جعفر المنصور العباسي قبل أن يلي الخلافة في مزاولة العلم بالكوفة، ورجع الى القيروان وتولى القضاء بها مرتين، وأخذ عنه خلق لا يحصون من أبناء بلده وتوفي سنة ١٦١ هـ

- علي بن زياد التونسي من أبناء مدينة تونس قرأ بها على خالد بن أبي عمران وغيره، وبالمشرق عن سفیان الثوري والليث بن سعد وابن لهيعة وغيرهم ، وهو أول من أدخل «موطأ» مالك بن أنس و «جامع» سفیان الثوري الى المغرب، وروايته للموطأ مشهورة بين الموطأآت يوجد منها قطعة صالحة في مكتبة القيروان العتيقة، وممن أخذ عنه من الافارقة : أسد بن القرات وسحنون، وقد قال سحنون في شأنه : «كان أهل العلم بالقيروان إذا اختلفوا في مسألة كتبوا بها الى علي بن زياد؛ ليخبرهم من على صواب فيها» وتوفي ابن زياد سنة ١٨٣ هـ وقبره في حضرة

تونس معـروف في أعلى الشارع الذي يحمل اسمه في
ناحية القصبة .

تتابع الطبقات:

ثم تتبدى طبقة ثانية يوافق ظهورها قيام الدولة الاغلبية
في البلاد ، ويمتاز رجال هذه الطبقة بالعكوف على أقوال
الائمة المجتهدين في التشريع يجمعون شتاتها، ويؤلفون بين
موضوعاتها ويوبون مسائل الفقه وينسقون أحكامها ، بعد أن
وقفوا على تفسير القرآن وعرفوا رواية الحديث والسنن ، وفي
طلعة هذه الطبقة :

- أسد بن القُرات بن سنان من أبناء جند خراسان، قدم به
أبوه صغيراً - ابن عامين - مع جيش محمد بن الاشعث الداخل
إلى إفريقية سنة ١٤٤ هـ فأقام بتونس ، ثم توجه الى الحجاز ،
وأخذ عن مالك بن أنس ، ثم انحدر الى الكوفة وبغداد ، فقرأ
على أصحاب أبي حنيفة النعمان ، ولا سيما محمد بن الحسن
الشياباني ، وفيما هو عائداً الى بلده عرّج على مصر ، فأخذ

عن عبد الرحمن بن القاسم ، وعبد الله بن وهب وغيرهما ،
واعتمد على ابن القاسم في إنشاء مدونته المعروفة بالاسدية ،
وقد تلقى عنه أبناء إفريقية ، مثل سحنون ، وسليمان بن عمران
وسواهما ، ويمكن أن نعد أسد بن الفرات أول مؤسس للمدرسة
الفقهية القيروانية ، بيد أن هذه المدرسة لم تكن تتسبب الى
مذهب معين ، بل كانت تروي أقوال كبار المجتهدين مع إيضاح
ما فيها من فروق ، وإنما كان ذلك ؛ لأن المذاهب السنية لم تكن
قد تعينت بعد ، واستقل كل منها بنفسه ، فان ذلك لم يتسق إلا
في القرن الثالث للهجرة ، وعلى أية حال فقد كان أسد بن
الفرات يقرىء بالقيروان آراء مذهب أهل المدينة ، ومذهب
أهل العراق بالسوية ، حينما أخذت كل طائفة تحاز الى
مذهب بعينه .

قال المالكي : « والمشهور عن أسد رحمه الله تعالى أنه
كان يلتزم من أقوال أهل المدينة ، وأهل العراق ما وافق
الحق عنده ، ويحجى له ذلك لاستبحاره في العلوم وبحثه

عنها ، وكثرة من لقي من العلماء والمحدثين « (١) وقال معاصره أبو سنان زيد بن سنان الازدي : « وكان أسد إذا سرد قول العراقيين يقول له مشائخ كانوا يجالسونه ممن يذهب إلى مذاهب أهل المدينة : - أوقد لنا القنديل الثاني يا أبا عبد الله ! فيسرد لهم أقوال المدنيين » .

ويجدر بنا هنا أن نلفت النظر إلى أن أشياع أهل العراق - أبي حنيفة وأصحابه - كانوا أوفر عديدا يومئذ من الذين يتابعون أهل الحجاز - مالك وأصحاب السنن - وما ذلك إلا لأن الامراء من بني الاغلب وسائر رجال دولتهم كانوا يقلدون ساداتهم خلفاء بني العباس .

وقد تولى أسد قضاء إفريقية لزيادة الله بن الاغلب ، ثم خرج مجاهدا إلى صقلية زعيما للجيش العربي ، فاستشهد في فتحها

سنة ٥٢١٣ هـ

كيف دخلت الحنفية إفريقية :

حكى المقدسي في رحلته - وقد زار المغرب آخر القرن

(١) ج ١ ص ١٨١ من رياض النفوس ط مصر ١٩٥١

الرابع للهجرة - رواية أخرى عن أخذ أسد بن الفرات لآراء أهل العراق ، قال : « سألت علماء القيروان كيف وقع مذهب أبي حنيفة إليكم ، ولم يكن على سابلتكم ؟ - فقالوا : لما قدم عبد الله بن وهب من عند مالك رحمه الله من المدينة إلى مصر ، وقد حاز من الفقه والعلوم ما حاز ، فاستكف أسد بن الفرات أن يدرس عليه لجلالته وكبر نفسه ، فرحل أسد إلى المدينة ليدرس على مالك ، فوجده عليلاً ، فلما طال مقامه عنده قال له مالك : - ارجع إلى ابن وهب فقد أودعته علمي ، وكفيتكم به الرحلة ، فصعب ذلك على أسد وسأل القوم : - هل يعرف لمالك نظير ؟ - ف قيل له : فتى في الكوفة يقال له محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ، فرحل أسد إليه ، وأقبل عليه محمد بن الحسن إقبالا لم يقبله على أحد ، ورأى فهما وحرصا ، فزقه الفقه زقا ، فلما علم محمد أنه قد استقل ، وبلغ مراده فيه سببه إلى المغرب ، فلما دخل اختلف إليه فتیان القيروان ، ورأوا فروعا حيرتهم ، ودقائق أعجبتهم ، ومسائل ما طنت على أذن ابن وهب ، وتخرج

على أسد الخلق، وفشا مذهب أبي حنيفة - رحمه الله - بالمغرب» (١)
ويبدو أن الحقيقة تجانب ما روى المقدسي ، فإن أسد بن
القرات لم يكن أول من أظهر آراء أهل العراق - أبي حنيفة
وصحبه - بأفريقية ، بل سبقه إلى ذلك بنصف قرن فقيه محدث
جليل القدر ، هو :

- عبد الله بن عمر بن فروخ ، أبو محمد الفارسي ، أصله
من خراسان ، وقدم أبوه أفريقية فولد له بها ابنه عبد الله سنة
١١٥ هـ ، وقرأ على محدثها ، ثم قصد المشرق واتصل في العراق
بالاعمش (سليمان بن مهران) التابعي ، وحمل عنه كثيرا من
الحديث ، ثم اجتمع في الكوفة بالامام أبي حنيفة النعمان وصحبه
مدة طويلة ، وكتب عنه مسائل كثيرة ، يقال إنها عشرة آلاف
مسألة ، وكان ابن فروخ يميل الى مذهب النظر والاستدلال ،
فغلب عليه القياس على طريقة أهل العراق فيما يتبين له أنه
الصواب ، ويروى أنه ناظر يوما زُفَرَ في مجلس أبي حنيفة ،
فازدراه زفر لهيئته الأفريقية ولباسه المغربي ، فلم ينزل يناظره

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للمقدسي ط ليدن س ١٨٧٧م

حتى علا ابن فروخ عليه، وقطعه بالحجة والدليل، فانكر أبو حنيفة على زفر ازدراءه بابن فروخ وعاتبه، ثم تحول ابن فروخ من العراق الى الحجاز، ولقي الامام مالك بن أنس، وسمع منه وتفقه عليه، وكتب عنه مسائل كثيرة معروفة، ثم عاد آخرها إلى بلده القيروان، وانتدب لتعليم الناس، وانتفع به خلق كثير من أبناء البلاد، فعن ابن فروخ، وعن تلاميذه انتشرت آراء أهل العراق في إفريقية، وكان هو أول من أظهرها بها. وكانت وفاته سنة ١٧٢ هـ

من ذلك الحين انتشرت أقوال الامام أبي حنيفة وأصحابه في إفريقية أيما انتشار، ولبثت تزدهر من أواخر القرن الثاني إلى أواسط القرن الرابع .

وقد نبّه المقدسي في رحلته إلى الوفاق بين الحنفيين والمالكيين بقوله: « .. وما رأيت فريقين أحسن اتفاقا، وأقل تعصبا من أهل القيروان، وسمعتهم يحكون عن قدمائهم حكايات عجيبة حتى قالوا: إنه كان القاضي سنة حنфия، وسنة مالكيا »

وقد حدث مثل ذلك بالفعل في مدة بني الاغلب ، فلما سقطت دولتهم ، وقامت الدولة الفاطمية الشيعية النحلة تضاءل عدد المستمسكين بالمذهب الحنفي حتى انقطع تماما في آخر عهد المعز لدين الله قبل انتقاله الى ملك مصر سنة ٣٦١ هـ . ولم يبق بافريقية من أهل السنة غير المالكيين ، أو بعض المقلدين لمذهب الامام الشافعي .

وقد وفقني الله تعالى إلى جمع شطر جليل من تراجم علماء الخنفة الافارقة ، فخصصتهم يبحث مستقل عرفت فيه بهم ، وجلوت سيرتهم ومآثرهم ، وسينشر فيما بعد إن شاء الله .

المدرسة المالكية :

- سحنون بن سعيد التنوخي ، من أبناء الجند العربي ، ولد في القيروان سنة ١٦٠ هـ ، وأخذ في إفريقية عن علي بن زياد ، وأسد بن الفرات وغيرهما ، ورحل إلى الحجاز ، ولم يدرك مالكا ، ورجع إلى مصر فسمع من عبد الرحمن بن قاسم ، وعليه غالب اعتماده ، وأخذ عن غيره من كبار تلاميذ مالك ،

وعلي ابن القاسم راجع مدونة شيخه أسد بن الفرات، وقد ظهر لابن القاسم العدول عن بعض آرائه الأولى واتخاذ آراء غيرها، وعاد سحنون الى بلاده، وأراد أن يحمل أسدا على إصلاح «الاسدية» على ما تلقاه من ابن القاسم، فلم يوافق أسد. واستمر سحنون بما أوتي من براعة ومقدرة يبث فقه أهل المدينة خاصة - مالك وأصحابه - ولا سيما بعد استشهاد أسد ابن الفرات في صقلية، ولذا عدّ سحنون أول من أظهر الفقه المدني ورجحه، وأرسخ كلمته في إفريقية والمغرب، وقد امتاز سحنون بخصال نادرة، منها: جمعه بين الاستقامة التامة والدين، ورجحان العقل والعفة، مع استقلال الفكر وقوة الشكيمة؛ وتوارد عليه عدد لا يحصى من المتعلمين من أنحاء المغرب، ولا سيما الاندلس، وصارت حلقة تدرسه أكبر حلقة عرفت لاستاذ، قيل إنه كان يجلس فيها أربعمائة طالب علم؛ ولما ناله سحنون من الشهرة والصيت البعيد أولاه الامير الاغلبى قضاء إفريقية سنة ٢٣٤هـ فأظهر مقدرة منقطعة النظير في تنظيم مهمة القضاء، بل إنه وضع الكثير من أصول المؤسسات الشرعية في

إفريقية، مثل دستور «أحكام السوق» وهي وظيفة الحسبة، ونظام قضاة الآفاق، وكشف الشهود، وسُنن التعليم الابتدائي، وتعيين أئمة المساجد إلى غير ذلك من الاوضاع التي جرى بها العمل مئات السنين، وما يزال بعضها سنة متبعة إلى يوم الناس هذا.

وفي مدة قضائه اجتهد سحنون في تعطيل الدروس التي كان يلقيها أصحاب الاهواء، والنحل الخارجة عن السنة في الجامع الكبير - مسجد عقبة - بالقيروان، مثل الصفرية، والمزجئة، والمشبهة والمعتزلة وغيرهم، حتى ألزمهم إخلاء الجامع من حلقهم، ولم تعد إليه بعد.

وقصارى القول أن سحنون بن سعيد يعد بحق المؤسس الاول لمدرسة الفقه المالكي في إفريقية، بل في المغرب عامة، كما كان الاسوة الحسنة لمن جاء بعده من علماء السنة في دراسة العلوم الفقهية، وشرح أصول السنة وتوفي سنة ٢٤٠هـ. وتمتاز الطبقة التي تلي هذه بتفسير أقوال من تقدمهم وإيضاح آرائهم، وتطبيق الفروع على الاصول، وفي طليعتها:

- محمد بن سخنون ، أخرجه والده متخلقا بالكثير من هديه
وخصاله ، وجلس يدرّس أقوال أبيه ، وغني بالتأليف فوضع
أكثر من مائتي جزء في فنون العلم ، ولا سيما شرح المجمل
من مدونة أبيه ، ومن كتبه «آداب المعلمين» الذي بين أيدينا ،
وهو أول من فتح هذا الباب ، وتوفي سنة ٢٥٦ هـ .

- محمد بن عبدوس ، تلميذ سخنون ، وأحد البارزين من
صحبه ، كان بارعا في الفقه المالكي ، قوي الاستنباط ، وهو
رابع المحمدين الذين اجتمعوا في عصر واحد من أئمة مذهب مالك
والثلاثة الآخرون هم : محمد بن سخنون ، وهو قيرواني مثله ، ومحمد
ابن عبد الحكم ، ومحمد بن المواز ، وكلاهما مصري ، وعن محمد
ابن عبدوس أخذ جماعة لا يحصون من أبناء إفريقية والاندلس ،
وألف كتبا كثيرة منها كتاب «التفاسير» فسر فيه أصول الفقه
وشرح مسائل المدونة وغيرها ، وتوفي سنة ٢٦٠ هـ .

- يحيى بن عمر الكِنَاني ، ولد بالاندلس ، ثم استوطن
إفريقية بعد أن جال في عواصم المشرق ، وروى عن كبار علمائه ،
واستقر أخيرا في مدينة سوسة ، وأكثرت اعتماده على شيخه

سحنون ، وتفقه به خلق كثير ، منهم : ابن اللباد ، وأبو العرب التيمي ، وأبو العباس الأبياني ، وصنف نحو أربعين مؤلفا في الحديث والفقه ، والرد على أهل البدع ، وفي فضائل المرابطة ، ومنها كتاب فريد في بابه ، وهو « أحكام السوق » (١) أبان فيه نظام المدائن في الاسلام ، ومهنة الحسبة ، وهو - فيما عرفنا - أقدم من ضبط أصولها وأحكامها ، وتوفي في سوسة سنة ٢٨٩هـ وكان قبره بها مشهور .

ثم كانت بإفريقية طبقة أخرى من حملة علوم الشريعة على مذهب مالك ، وقد شهدت هذه الطبقة سقوط الدولة الاغلبية - سنة ٢٩٦هـ - وقيام الدولة الفاطمية الشيعية مكانها ، وقد حاول ملوك العبيديين القضاء على مذهب أهل السنة ، وتسويد النحلة الشيعية ، وقاسى علماء القيروان من جراء ذلك ألوان الاضطهاد والمناوأة ، فأخفت صوتهم ، ومنع نشر تعاليمهم مدة ستين عاما أو أكثر ، كما لقي القائمون بالدعوة الشيعية من مقاومة علماء

(١) لدينا منه نسخة كاملة حققناها وشرحناها ، وعلقنا عليها بما يناسب ، ونزعم نشرها في القريب ، إن شاء الله تعالى .

السنة، واستنكار الامة الافريقية ما أدى إلى وقوع أحداث دموية
عنفية في شوارع القيروان ، وكان ذلك من أكبر أسباب يأس
الفاطميين من نجاح دعوتهم في البلاد ، وتمكينها من معتقد
الافارقة ، حتى اضطر العبيديون إلى نقل عاصمتهم من القيروان
إلى المهديّة بعض حين ، ثم ولّوا وجوههم قبل المشرق ، ساعين
إلى امتلاك مصر ، حتى استولوا عليها وسكنوها - سنة ٥٣٦٢هـ -
وكان على رأس المقاومين للشيعة في نشر دعوتهم بين
الافارقة :

- أبو عثمان سعيد بن الحداد النساني ، تلميذ سخنون وغيره
عني منذ صغره بعلم الكلام والجدل ، والقول بالنظر والحجة ،
وكان مفرط الذكاء ، وقاد القريحة ، متفتنا في سائر العلوم ، لا يخلد
إلى مذهب من المذاهب ، بل كان يذم التقليد ويقول : « هو من
نقص العقول ، وتقاعس الهمم » وهو أكبر مناقض عن السنة
أثبتته التربة الافريقية ، وله مواقف حاسمة مع دعاة الشيعة في
« رقادة » منذ بزغت دولتهم ، وقد سجل لنا التاريخ بعض مجالس
الجدل بينه وبين الشيعيين ، حتى شبهه معاصروه بأحمد بن حنبل

أيام المحنة بخلق القرآن ، وتوفي سعيد سنة ٣٠٢ هـ .
 - أبو بكر محمد بن اللباد ، وجده الاعلى أحد موالى موسى
 ابن نصير ، أخذ عن تلاميذ سخنون كيحي بن عمر ، وسعيد
 الحداد وغيرهما ، وبرع في الفقه إلى أن حاز رئاسة المالكية في
 إفريقية ، ولذا امتحنه دعاة الشيعة ومنعوه من إلقاء دروسه
 بالمسجد الجامع ، ثم سجن مع المجرمين في المهديّة ، ثم أطلق
 وألزم الاعتكاف في بيته ، فكان تلاميذه - ومنهم عبد الله بن
 أبي زيد - يقصدونه خفية ، ويجعلون كتبهم في أوساطهم حتى
 يتل بالعرق ، وداوم على الاقراء ، وقد استفاد منه جيل كامل
 حافظوا على سند الشيوخ المتوارث ، وتوفي سنة ٣٣٣ هـ
تفرد المالكية بإفريقية:

ثم كانت طبقة أخرى شهدت جلاء الشيعة إلى مصر ،
 وقيام الامراء من بني زيري الصنهاجيين مكان بني عبيد الله
 الفاطميين ، وقد خفت وطأة التضييق على المالكية ، إذ أصبح
 جمعهم بأمن من المقاومة والتكيل ، وفي ذلك الحين نبغ فقهاء
 أعلام ، في مقدمتهم :

- عبد الله بن أبي زيد القيرواني ، أبو محمد ، تلميذ ابن اللبّاد وغيره ، وبرع في علوم الشريعة ، حتى انتهت إليه إمامة المالكية ورياستها في عصره ، وإليه كانت الرحلة من آفاق المغرب ، حتى قيل فيه «مالك الاصغر» وعني بالتأليف، وملاّت مصنفاته البلاد ، وهو الذي لخص المذهب المالكي ، ورجح أقواله ، وجمع بين آراء المتقدمين ، ولا سيما في كتابه «النوادر والزيادات» على المدونة ، إذ استوعب فيه فروع المذهب ، فصار بمثابة ، «مسند أحمد بن حنبل» عند المحدثين ، وهو يخرج في أكثر من عشرين جزءا كبيرا ، وقال ابن خلدون فيه : « وجمع ابن أبي زيد جميع ما في الامهات من المسائل والخلاف والاقوال في كتاب «النوادر» فاشتمل على جميع أقوال المذاهب ، وفرع الامهات كلها في هذا الكتاب ... وزخرت بحار المذهب المالكي في الافقين - المغربي والاندلسي - الى انقراض دولة قرطبة والقيروان » . وقد ألف ابن أبي زيد الرسالة المشهورة التي جمعت في أوراق قليلة عقيدة أهل السنة والفروض في في أسلوب بديع ، وتناولها المفسرون بأكثر من مائة شرح ،

وترجم أصلها إلى غير لغة أجنبية ، وله أيضا ردود على أهل البدع والاهواء المخالفة للسنة ، وعلى الجملة كان ابن أبي زيد - بعد حركة التشيع الظاهرة في البلاد - كالمجدد للسنة ولمذهب مالك خاصة ، ويعد رأسا للمدرسة المغربية التي محت ما قبلها ، وكانت بدءا للحركة الفقهية المنشورة في عهد الدولة الصنهاجية إلى إبان الزحف الهلالي ، وتوفي ابن أبي زيد سنة ٣٨٦ هـ .
وقد تلقى عنه جماعة كثيرة من أشهرها :

- علي بن خلف المعافري المعروف بأبي الحسن القابسي ، من كبار الفقهاء المحدثين ، قرأ في القيروان ، ثم رحل إلى المشرق ، وسمع من عليه رواية الحديث ، وهو أول من أدخل صحيح البخاري إلى إفريقية ، وألف كثيرا في الفقه والحديث مثل ملخصه لكتاب الموطأ وغيره ، أما أصحابه وتلاميذه فيعدون بالمئات من أفارقة ومغاربة وأندلسيين . ولا ننسى أنه كان في أوائل من أظهروا آراء أبي الحسن الأشعري ومذهبه في العقائد ولقد سعى إلى نشر هذه الآراء في البلاد الإفريقية ، وأيدها برسالة في مناصرة الأشعرية ، وتوفي القابسي في سنة ٤٠٣ هـ .

ثم كانت طبقة أخرى عاصرت الدولة الصنهاجية بالقيروان في عنفوانها وازدهار حضارتها ، أعني في دولة باديس وابنه المعز ، وقد أسهمت في قمع بقايا المنتسبين إلى مذهب الشيعة في إفريقية ، وحرضت على قطع الصلة بالملوك الفاطميين المقيمين بنصر ، وشاركت الامراء في النداء بتوحيد المذهب في المغرب عامة ، وفي حمل أهليه على استئان مذهب مالك دون سواه سنة ٤٣٠ هـ ومن أبرز هذه الطبقة :

- أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الحولاني ، من تلاميذ ابن أبي زيد والقابسي ، وحاز الذكر ورياسة الدين بالقيروان في وقته مع أبي عمران القابسي ، وتخرج عليه أصحاب يزيدون عن مائة وعشرين ، وكلهم مقتدى بهم في المذهب ، وتوفي سنة ٤٣٢ هـ .

- أبو الطيب عبد المنعم الكندي ، من أجلاء الفقهاء ، وأصحاب النظر في علوم الحساب والهندسة ، وبه تفقه جماعة منهم : أبو الحسن اللخمي وعبد الحميد الصائغ وغيرهما ، وتوفي سنة ٤٣٥ هـ

- أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد اللبدي، من صغار أصحاب
ابن أبي زيد والقاسبي، ألف كتابا جامعا في المذهب المالكي
أزيد من مائتي جزء في عامة مسائل الفقه وبسطها وتفريعها،
وزيادات على الامهات ونوادر الروايات، توفي سنة ٤٤٠هـ

انفصال إفريقية عن المشرق :

وفي تلك الحقبة كانت الكارثة العظمى بزحف بني هلال
وبني سليم وإليك بيانها :

كان المعز بن باديس الصنهاجي الذي تولى إمارة إفريقية في
السادسة من عمره، قد تولى تربيته رجال مستمسكون بالسنة
المالكية، فكبر وترعرع في بيئة علم وأدب لم ترق البلاد رقيها
من قبل، والحضارة يومئذ في الاوج، فاطمأنت نفسه إلى إمكان
التحرر من سيادة الفاطميين بمصر، مجاريا في ذلك ميول الامة
الافريقية، فما فتىء يتخذ الوسائل للانفصال عن سلطان
الفاطميين البعيد المتضائل على الايام، تؤازره على ذلك صفوة
العلماء، ويؤيده الشعب، وفضل يقاوم شيئا فشيئا خطة ملوك

الشيعة في العقيدة ، وفي السياسة ، ماضيا في حركة الاستقلال
بالبلاد ، حتى جاهر بلعن بني عبيد على المنابر ، وأنكر سيادتهم ،
وجحد ولاءهم وقاطعهم وكانت با كورة أعماله أن حمل الاهلين
على الاستمساك بمذهب مالك دون سواه ، ولم يكن قد صنع
ذلك وحده ، بل سبقه إليه بزمان طويل ملوك بني أمية
بالاندلس ، فاتهجوا هذا المسلك في حمل الامة على إثارة مذهب
مالك ، وما كان المعز بن باديس ليخشى غائلة الفاطميين ، وبينهم
وبين المغرب مفازة من الاسكندرية إلى قابس يتعذر اقتحامها
على جيوش دولة دّب فيها الوهن والانحلال ، فأقبل المعز على
أمره يتحرر من سلطان العبيديين ، ويقطع الاسباب بينه وبين
المشرق الشيعي .

وبلغ المعز في ذلك مناه ، مستجيبا لرغبة شعبه ، فتمتعت
البلاد بالاستقلال نحو عشرين سنة ، ولكن دهاة رجال
الفاطميين دبوا المكر بالمعز وبقومه الافارقة ، ورموهم بجنود
من أعراب بني هلال وبني سليم كانوا يقيمون على الشاطيء
الشرقي للنيل ، فأباحوا لهم أن يجوزوا المغرب ، فأنحدروا

كالسيل الجارف لا يبقى ولا يذر، ولما بلغوا تخوم إفريقية تصدى لهم المعز يحاول صدهم عن البلاد، فانصبوا عليه وعلى عساكره، وألحقوا بهم هزيمة كانت القضاء المبرم على حضارة إفريقية العربية، واضطر المعز أن يلتجئ إلى حصن المهديّة . فملك الأعراب القيروان دونه ، ورحل منها أمامهم ساكنوها متفرقين أيدي سبأ ، ولم يبق بها إلا قلة مستضعفة استكانت لغلبة المهاجمين ، وانقادت لسلطانهم سنة ٤٤٩ هـ .

وهكذا تقلصت ظلال العلم من رحاب القيروان، وفارقها العلماء إلى خارج البلاد، وإلى بعض مدائن الساحل التونسي ، إلا ما يذكر عن أحد الحفاظ ، آثر المقام بالقيروان بعد خرابها المشؤوم ، ذلك هو الامام بقية السلف الصالح ، وخاتمة الأئمة النظار :

عبد الخالق التميمي المعروف بالسيوري ، فانه لم يغادر العاصمة ، وبقي بها إلى آخر أيامه ، وكان من وجوه أصحاب أبي بكر ابن عبد الرحمن وأبي عمران القاسمي ، ومن في طبقتهما ، وانتفع به خلق كثير ، لانفراده برواية الحديث والفقہ ، ومن

مشهوري تلاميذه الناقلين عنه : عبد الحميد بن الصائغ ، وأبو الحسن اللخمي ويقول الدباغ في شأنه : « السُّيُوري آخر طبقة من علماء إفريقية ، وخاتمة أئمة القيروان . » توفي سنة ٤٦٠ هـ أو بعدها بقليل .

وهنا تبدى طبقة أخرى من علماء الشريعة الذين انتقلوا من القيروان إلى الساحل التونسي واستوطنوه وأقرأوا به ، وعلى رأسهم فقيهان جليلان ، هما :

- علي بن محمد الربعي المعروف بأبي الحسن اللخمي من أبناء القيروان ، قرأ بها على جماعة منهم أبو الطيب عبد المنعم ، وبخاصة الامام السُّيُوري ، فلما جلا السكان عن القيروان قصد مدينة صفاقس واتخذها مقرًا له ، فطار له فيها صيت ، وكانت له رياسة ، يقصده طلاب العلم يروون عنه ، منهم الامام محمد المازري ، وقد وضع اللخمي مصنفات أجلها « التبصرة » أخرج فيه الخلاف في مذهب مالك ، واستقرار الاقوال ، وربما اتبع في بعض المسائل نظره الخاص ، وخالف مشهور المذهب فيما يرجح عنده ، فخرجت مختاراته عن القواعد المالكية

المقررة، وتوفي سنة ٤٧٨هـ وقبره في صفاقس مشهوراً .
- عبد الحميد بن محمد الصائغ ، من أبناء القيروان أيضا ،
أخذ عن أبي بكر بن عبد الرحمن وأبي الطيب الكندي ،
والسيوري وغيرهم ، وتحول الى سكنى المهديّة وتولى بها الفتيا ،
وسمع منه خلق لا يحصون ، في مقدمتهم محمد المازري ، ثم دارت
عليه محنة من السلطان ، فانتقل الى مدينة سوسة ، وبها قضى
بقية عمره بين التدريس والتأليف وتوفي سنة ٤٨٦هـ . وقبره
معروف على مقربة من البحر ، خارج المدينة .

هذان الامامان هما شيخا المازري ، وعليهما اعتماده في
الرواية والسند العلمي القيرواني .

والآن وقد جلونا كيف انتهت الطريقة العلمية الى
المازري ، نبحث كيف انتقلت هذه الطريقة منه الى أصحابه
وتلاميذه ؛ لكي نرى كيف تحوّل سند العلم من مبعثه الاصيل
- وهو القيروان - الى المهديّة - ثانياً العواصم الاسلامية في
إفريقية - ثم إلى مدينة تونس ، قاعدة الملك الاخيرة ، وكيف
ظلّ السند موصولاً إلى أن بلغ عصرنا القريب .

ونشهد لذلك بكلمة نجعل فيها مزية المازري ، فانه لما
 توفي الشيخان « اللخمي » و « ابن الصائغ » وتمين على كبير
 تلاميذهما: محمد المازري أن يخلفهما في حمل لواء العلوم الشرعية
 في الساحل التونسي ، بل في إفريقية كلها ، ولم يتقلد المازري
 هذه الزعامة بأمر سلطاني ، بل باجماع الكلمة من أهل البلاد ،
 فتصدر لنشر التعاليم الدينية وتدوينها ، وقد أقبل على التدريس
 بالمهدية ، والتف حوله طلاب ممتازون تلقوا عنه سند المالكية
 بالرواية المتوارثة الصحيحة ، وحملوا عنه مصنفاته الفقهية ، وأماله
 في شرح الحديث والسنن ، وهو يمتاز عن غيره من متقدمي
 الفقهاء الاعلام بأسلوبه الواضح في التعبير والتقريب ، وما كتب
 في مسألة فقهية ، أو أصدر فتوى شرعية إلا دعمها بتطبيق أقواله
 على قواعد الاصول ، متبعا في ذلك المنهج المنطقي ، وما انتهى
 إلى قول من الاقوال الا بعد أن مهد له بالحجة ، وأقام عليه
 البرهان ، وتلك طريقة مستحدثة في التأليف والتدوين العلمي
 الاسلامي في أثناء القرن السادس الهجري وما تلاه ، وإنها
 لطريقة حكيمة في إثبات الحقائق ، ولا سيما في الاحكام

والمبادئ ، ومتى كانت هذه الطريقة معرّزه بانشاء متين كانت أوقع في النفس ، وأقوى على الاقتناع.

ومن تعداد تلاميذ المازري والاخذين عنه سواء بالتلقي ، أو بالاجازة ، يستين لنا ما بلغه صيته العلمي مدة حياته ، ونجتزىء هنا بالاشارة إلى من لازم درسه واستفاد بالنقل عنه ، إلى أن خلفه بعد وفاته في نشر ما كان يحمل من السند والرواية. فمن أشهر تلاميذه الافارقة :

- أبو يحيى زكرياء بن الحداد المهدي ، غني به المازري عناية خاصة ، ورشحه للمناصب الشرعية التي اعتذر عن قبولها لنفسه ، وقد تحقق عنده دينه وعلمه وفضله ، فأشار على الامير الصنهاحي يحيى بن تميم بن المعز باختياره لمنصب القضاء بالمهدية فسار فيها سيرة أهل العدل والصلاح ، وقد خَلَفَ شيخه المازري في الرياسة الدينية . إلى أن توفي في حدود سنة ٥٧٠ هـ وتخرج عليه كثير من الفقهاء ، منهم :

- عبد السلام البُرْجيني ، نسبة إلى البُرْجين ، إحدى

قرى الساحل ، أقام في فترة صغيرة بالمهدية في صحبة ابن الحداد وروى عنه ما يحمل من علوم الشريعة ، وانتفع به كثيرا ، ثم تحوّل إلى سكنى مدينة تونس بعد استيلاء الأمراء الموحدين عليها ، واتصل بأعيان الدولة ، ولا سيما الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص ممد المملكة الحفصية ، وتولى القضاء والافتاء في مدة ولايته ، وتصدى مع ذلك لنشر التعاليم الدينية بين شباب الطلاب التونسيين ، إذ لم يكن في عصره من هو قائم بها مثله ، وكانت العاصمة الجديدة - مدينة تونس - في أشد الحاجة إلى معلمين مرشدين لخلو البلاد من حملة العلم بعد خراب القيروان واستيلاء نصارى النُرمَان على ساحل البلاد ، فظهر البرجيني كالعالم المفرد في الاستمساك بالرواية الفقهية والسند العلمي المأثور من لدن الفتح في طبقة بعد طبقة .

وقد وهم المؤرخون وأصحاب الطبقات الذين تحدثوا عن ذلك العصر ، إذ جعلوا البرجيني من تلاميذ المازري ، وأنه روى عنه أصالة ، على حين أن المازري مات سنة ٥٣٦ هـ والبرجيني ولد بعد ذلك ، وعمّر حتى مات سنة ٦٣٠ هـ ، فلا

يصحّ في العقل أن يكون قد أخذ عنه ، والذي تحقق لنا بعد
المراجعة والتحصيص أن البرجيني قرأ على الشيخ أبي يحيى بن
الحدّاد المهدوي ، فبذلك تصح الرواية ويتسق التاريخ .
وكان البرجيني على جانب من التقوى ، وهو الذي لحّد
صديقه الشيخ خلف بن يحيى التميمي المشهور بأبي سعيد الباجي
دفن في جبل المنار المتسمى اليوم باسمه ، وذلك سنة ٦٢٨ هـ .
ولابدّ من التنبيه الى أنه في العهد الذي انتقلت فيه دراسة
العلوم الشرعية من القيروان الى المهدية ، ومنها الى تونس ،
كانت كتب الدراسة للعقائد وللفقهاء المالكي انما هي أمهات من
المؤلفات وضعها علماء القيروان ، مثل « الرسالة » لابن أبي زيد
- وهي للمبتدئين - و « تهذيب المدونة » للبراذعي القيرواني ،
و « التعليقة » وهي شرح المدونة لابن اسحاق ابراهيم التونسي
القيرواني ، و « التبصرة » لابن الحسن اللخمي ، الى كثير من
المؤلفات يعي بها الحصر والاحصاء .

- عبد العزيز القرشي المعروف بابن بَزِيْرَة ، مولده في
سنة ٦٠٦ هـ ، وهو من كبار الحفاظ المجتهدين المعترف لهم

بالتقوى في علوم الشرع ، وفي الادب الرفيع ، كما تشهد بذلك مؤلفاته المتعددة ، وعليه تخرجت طبقة من المشتغلين بالعلوم الدينية من طلبة الحضرة التونسية ، ممن أحيوا سنن البحث ، وتدرّيس الفقه أصوله وفروعه ، وتوفي سنة ٦٦٢ هـ .
ومن أشهر تلاميذه :

- أبو القاسم بن أبي بكر اليميني المعروف بابن زيتون ، مفتي إفريقية وقاضيا في مدة الامير أبي زكرياء الاول ، وابنه محمد المستنصر . مولده سنة ٦٢١ هـ وقد تخرج عن ابن بزيظة وغيره ، ثم رحل إلى المشرق وروى بمصر عن العزبن عبدالسلام ، والحافظ المنذري ، وعاد إلى تونس يحمل تعاليم المشرق وأصوله في التدريس ، وله رواية واسعة ، وأخذ عنه من أبناء البلاد من لا يعدّ كثرة ، وهو الذي تولى تحرير عقد الصلح المنبرم بين المستنصر بالله وجيش الفرنسيين بعد موت لويس التاسع ملك فرنسا في قرطاجنة (المحرم سنة ٦٦٩ = ١٢٧٠ م) . وتوفي ابن زيتون سنة ٦٩١ هـ .

قال العلامة ابن خلدون: « وبعد انقراض الدولة الموحدية
بمراكش ، ارتحل الى المشرق من إفريقية القاضي أبو القاسم
ابن زيتون في أواسط المائة السابعة ، فأدرك تلاميذ الامام ابن
الخطيب ، فأخذ عنهم . ولقن تعليمهم ، وحذق في العقليات
والنقليات ، ورجع إلى تونس بعلم كثير وتعليم حسن ، وجاء على
أثره من المشرق أبو عبد الله محمد بن شعيب الدكالي ، كان ارتحل
إليه من المغرب ، فأخذ عن مشيخة مصر ، ورجع إلى تونس ،
واتصل سند تعليمهما في تلاميذهما جيلا بعد جيل ، حتى انتهى
إلى القاضي محمد بن عبد السلام شارح ابن الحاجب وتلاميذه..»
وقد يناسب هنا أن نورد ما قاله العلامة المقرئ في كتابه
« أزهار الرياض » في سياق الحديث عن طريقة التعليم بفاس
عاصمة المغرب الاقصى ، وأنها أقل درجة مما كانت في تونس
ولا ريب أن العلامة المقرئ تفتن إلى أن السر في تفوق
الطريقة التونسية يرجع إلى عوامل أكبرها تواصل السند
العلمي في الرواية ، وإليك مقالته : « ... والعلّة في ذلك كون

صناعة التعليم وملكة التلقي لم تبلغ فاسا كما هي في مدينة تونس - في القرن الثامن للهجرة - اتصلت إليهم من الامام المازري ، كما تلقاها هو عن الشيخ اللخمي ، وتلقاها اللخمي عن حذاق القيروانيين ؛ وانتقلت ملكة هذا التعليم إلى الشيخ ابن عبد السلام - مفتي البلاد الافريقية - واتصل بها المشهود له برتبة التبريز والامامة ، واستقرت تلك الملكة في تلميذه ابن عرفة .. ، يضاف إلى ذلك أنه في أثناء تلك المدة وفد على حضرة تونس نخبة كبيرة من وجوه العلماء ، نزحوا إليها من بلاد الاندلس بعد سقوط مدينتي « بنسية » و « شيلية » في يد الاسبان نذكر منهم الحافظ محمد بن الابّار ، وأبا المطرف بن عميرة ، وأبا بكر بن سيد الناس ، وعبد الحق بن برطلة ، وعلي بن عصفور ، وحازم القرطاجني ، وأحمد بن عجلان ، وأبا جعفر اللبلي ، والقاضي أحمد بن الغمّاز الحزرجي ، وبني خلدون الاشيليين ، وسواهم ممن لا يحصون عدا ، وقد أثار مقدم هؤلاء المهاجرين نشطة كانت نواة حية للنهضة العلمية في تونس ، ولا سيما نهضة علوم الشريعة ، وكان اللاجئون جميعا ممن يذهبون مذهب مالك

ابن أنس كسائر سكان الاندلس ، مما زاد السند العلمي الفقهي
المنتقل من القيروان إلى الساحل إلى تونس ثباتا وقوة، وانتشارا
وسعة .

وقد نبغ من تلاميذ ابن زيتون وغيره جيل جديد من
الفقهاء الاعلام ، وقفوا حياتهم على التدريس والتأليف في مختلف
فروع العلوم الشرعية ، من آخر القرن السابع إلى آخر القرن
الثامن ، نذكر من بينهم :

- محمد بن بن عبد الجبار الرُعيني السوسي المتوفى سنة ٦٦٢هـ

- أبو القاسم بن علي بن البراء التبوخي المهدي ، قاضي

الجماعة بتونس المتوفى سنة ٦٥٥ هـ

- أحمد الانصاري المعروف بالبَطْرَني التونسي المتوفى

سنة ٧١٠ هـ

- أبو بكر بن جماعة الهواري المتوفى سنة ٧١٢ هـ

- محمد بن عبد النور التونسي ، المتوفى سنة ٧٢٦ هـ

- إبراهيم بن عبد الرفيع الربمي ، قاضي الجماعة ، المتوفى

سنة ٧٣٣ هـ

- محمد بن راشد القفصي ، المتوفى سنة ٧٣٦ هـ

- قاضي الجماعة الشيخ المتبحر محمد بن عبد السلام الهواري التونسي ، مجدد الحركة الفقهية ، وشيخ الجيل الآتي بعده ، توفي سنة ٧٤٩ هـ ومن أشهر تلاميذه :

- محمد بن عرفة الوردغمي ، شيخ شيوخ عصره ، وجامع قواعد الفقه وحدوده ، توفي سنة ٨٠٣ هـ

- عبد الرحمن بن خلدون ، نابغة الفلسفة التاريخية ، توفي على خطّة قضاء المالكية بمصر ، سنة ٨٠٨ هـ

وتتوارد بعد ذلك طبقات الفقهاء المالكيين في القطر التونسي وكل طبقة تعول على التي قبلها في روايتها ، وتستمد منها تعاليمها محافظة على موروث تقاليدها ، وهكذا يتواصل السند العلمي الاسلامي ، لا يتقطع ولا يفتر ، إلى أن يبلغ إلى القرن الهجري الاخير الذي شاهد بعض الشيوخ المعاصرين أفاذا من حفظة الشريعة الاعلام ، أساتذة « الزيتونة » وورثة مجدها العلمي ، ومفخرة تونس مدى الايام ! ...



بعد أن عرضنا هذه البسطة المستعجلة في سير السنة
المحمدية بالبلاد الافريقية ، فلنتقل الآن إلى التعريف بعلامتنا
« المازري » بقدر ما أمكننا التوصل إليه من أخباره وآثاره .

ف نقول :



الأمازيغ المازري

نشأته وتعلمه :

أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المشهور بالمازري ، نسبة إلى مازرة بصقلية (١) ولا نعلم شيئاً عن ولادة هذا العلم الفرد ولا عن نشأته الأولى ، هل كانت بصقلية ، أو بالقطر الأفريقي ، ولم ينص على ذلك أحد من المؤرخين ، ولا من مؤلفي التراجم وأصحاب الطبقات . وبعد البحث الطويل غلب على ظننا أنه ولد بأفريقية ، سواء أكان ذلك بالمهدية ، أو

(١) مازرة أو مازر **Mazzara** مدينة على الساحل الجنوبي من جزيرة صقلية تقابل شمال البلاد التونسية ، وهي اول بلدة امتلكها الجيش الاغربي الفاتح على يد قائده القاضي أسد بن الفرات (ربيع الاول سنة ٢١٢ هـ) وكذلك كانت آخر معقل للإسلام بالجزيرة . وقد افتكها رُجار ملك النرمان من يد عبدالله بن الحواس آخر ملوك الطوائف بصقلية (خلال سنة ٤٦٤ هـ) وبذلك انقطعت السيادة الاسلامية من تلك الجزيرة ، فهاجر من سكانها المسلمين من هاجر ، وبقي منهم من بقي تحت ذمة الإفرنج إلى اوائل القرن السابع للهجرة ، والله غالب على امره ويتسبب إلى مازرة هذه جماعة من العلماء الاعلام ، والادباء المجيدين .

بالقيروان ، أو غيرهما من مدن الساحل التونسي في حدود سنة ٤٤٣ هـ والمظنون أن والده محمد بن علي هو المهاجر من صقلية عند اختلال الاحوال وقيل استيلاء النرمان عليها ، ولهذا السبب نفسه فارق كثير من مسلمي صقلية جزيرتهم ، والتجأوا إلى الاصقاع الاسلامية ، ولا سيما إلى إفريقية التونسية لقرب ما بين العدوتين .

ومما يؤيد ولادة المازري بالجهة الساحلية هو مزاولته التعليم صغيرا بها ، ولم يرو التاريخ أنه أخذ عن شيوخ بلاد نسبته مع توفرهم حينئذ هنالك . وفي نظرنا أن المازري نشأ بإفريقية ، وبها قرأ وترعرع ، وتلقى الدراسة العليا عن سندي المغرب في وقتها بلا مدافع ، أعني أبا الحسن اللخمي (١)

(١) أبو الحسن علي بن محمد الربيعي شهر اللخمي رئيس فقهاء القيروان في عصره من تلاميذ السيوري وابن محرز ، وابي اسحاق التونسي . وللخمي تعليق على المدونة مهم جدا يعرف بالتبصرة . توفي سنة ٤٧٨ هـ ودفن بصفاقس ، وضرجه مشهور هنالك .

وعبد الحميد الصائغ (١) وغيرهما من جلة العلماء الاعلام .
واستقر بالسكني في مدينة المهديّة - وهي إذ ذاك شريكة
القيروان في تحت الملك - وتصدر للتدريس بجامعة الكبير :
جامع عبيد الله المهدي ، وبه بث ما وسعه صدره من العلم
الغزير والمادة الواسعة ، فنشر العلوم الدينية والفنون على اختلاف
أنواعها ومراميها ، ومن ذلك الحين ذاع صيته في الآفاق ،
وطبقت شهرته المشرق والمغرب ، فكانت حلقة دروسه تشمل
المئيين من التلامذة المجتهدين ، سواء أكانوا إفريقيين أم وافدين
من أقطار المغرب والاندلس ، وصار كعبة أنظار الطلاب ،
يقصده الداني والقاصي .

ناهيك بتلاميذ من ضمنهم أعلام : كابن الحداد المهدي (٢)

(١) ابو محمد عبد الحميد بن محمد المعروف بابن الصائغ ، من كبار
ائمة القيروان وعلمائها العدودين . تصدر للفتيا بالمهديّة في عهد المعز بن
باديس الصنهاجي ، ثم لحقته محنة ايام الامير تميم بن المعز ، فانقطع عن
الفتوى ، واستوطن مدينة سوسة ، وبها كانت وفاته سنة ٤٨٦ هـ وقبره بها
على شاطئ البحر مشهور يتبرك به .

(٢) ابو يحيى زكرياء بن الحداد المهدي قاضيها وعالمها بعد
المازري ، مؤلف مشهور مات في حدود سنة ٥٧٠ هـ .

ومنهم : أبو القاسم محمد بن خلف الله المعروف بابن مشكان
الذي تولى قضاء مدينة قابس ومنهم : أبو عبد الله محمد بن زيادة
الله القابسي وغيره وغيره وقد لا يكاد المؤرخ يقدر أن يحصر
الآخذين عنه من بين أبناء إفريقية ، أما غيرهم من مشاهير
الوافدين ، فمنهم رجل المغرب على الاطلاق علما وسياسة :
محمد بن تومرت (١) والامام المتبحر الجليل أبو بكر بن العربي (٢)

(١) محمد بن عبد الله بن تومرت ، مؤسس الدولة الموحدية ، مولده
سنة ٤٨٥ هـ بالمغرب الأقصى ، وقرا بقرطبة ، ثم قصد المشرق في طلب
العلم ودخل المهديّة مجتازا وتلقى بها على إمامها الكبير المازري ، ثم ارتحل
إلى مصر والشام والعراق ، واخذ عن الامام الغزالي ببغداد ، وحج ثم عاد
إلى المغرب وقام بالدعوة سالكا تغيير المنكر والرجوع إلى اصول الشريعة
المطهرة سنة ٥١٥ هـ إلى ان تمهدت له السبل وتمكن من تأسيس اكبر
دولة مغربية عرفها التاريخ (الدولة الموحدية) وتوفي سنة ٥٢٥ هـ ، وكان
من العلم على الجانب الاوفى مع تقشف وورع .

(٢) ابو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المشهور بابن العربي الاشبيلي
حافظ الاندلس ومؤلفه الكبير ، مولده سنة ٤٦٨ هـ رحل مع ابيه في طلب
العلم إلى المشرق ، سنة ٤٨٥ هـ ولقي بالمهديّة عالما الامام المازري ، واخذ
عنه كثيرا واتى عليه في رحلته الثناء العطر ، ثم طاف بلاد المشرق وصحب
الامام الغزالي واتفق به وعاد إلى الاندلس ، واقرا والف كثيرا وافاد ،
وتوفي عام ٥٤٣ هـ .

وعلي بن صاعد (١) وغيرهم من لا يعدّ كثرة . وهناك فريق كبير من عليّة علماء الآفاق الاسلاميّة المعاصرين للامام المازري رغبوا في الاخذ عنه بطريق المراسلة - طريقة الاجازة - فكتبوه يرجون ذلك منه - رضي الله عنهم وعنه - أذكر من بينهم على سبيل التذكير : ابن رشد الحفيد فيلسوف الاسلام الكبير ، والقاضي عياض السبتي وابن فرس ، والمحدث ابن أبي حمزة ، وأبا بكر بن أبي العيش ، وابن الحاج ، وسواهم كثير جدا .

وهنا أورد حكاية تدلّك دلالة صريحة على مكانة الامام المازري من قلوب الآخذين عنه وتقديرهم لجلالة علمه وعلو كعبه : ذكر ابن القاضي (٢) والمقري (٣) :

(١) ابو الحسن محمد بن خلف بن صاعد اللبلي ، إمام القراءات بالاندلس ، حج واجتاز بالمهدية فأخذ عن الامام المازري وأجاز له مارواه والده ، ثم رجع الى بلاده فتولى قضاء شلب ومات سنة ٥٤٧ هـ .

(٢) كتاب « درة الحجال ، في غرة اسماء الرجال » لاحد ابن القاضي ج ١ ص ١٣٥ طبعة الرباط .

(٣) « ازهار الرياض ، في اخبار القاضي عياض » لابي العباس احمد المقري مؤلف نفع الطيب (خط بمكثتي) .

« أن بعض طلبة الاندلس ورد على المهدي لمزاولة العلوم على المازري ، فحضر يوماً مجلسه بالجامع كالعادة إذ دخل شعاع الشمس من كوة ووقع على رجل الشيخ فقال المازري : هذا منعكس . فلما سمع الطالب ذلك ورأى القول متزناً ، ذبله لحيته بقوله :

لعلة لا تلتبس	هذا شعاع منعكس
من كل علم ينبس	لما رأك عنصرا
من نور علم يقتبس!	أتى يمد ساعدا

وحكى الصفدي - في الغيث المنسجم - أن بعض أدباء الاندلس كتب إلى أبي عبد المازري بالمهدية :

ربما عالج القوافي رجال	تلتوي تارة لهم وتلين
طاوعتهم عين وعين وعين	وعصتهم نون ونون ونون

فأبّن لنا ما طاوعهم وما عصاهم .

فكان من ضمن جواب الامام عن هذا السؤال : طاوعهم العجمة ، والعي ، والعجز ؛ وعصاهم اللسان ، والجنان ، والبيان .

فأنت ترى أن شهرة المازري العلمية طبقت الآفاق ،
واخترقت تخوم إفريقيا والمغرب ، واجتازت إلى الاندلس من
ناحية الشمال ، إلى أقصى البلاد العربية من ناحية المشرق ؛ فلا
غرو حينئذ أن يشتهر عَلَّامَتُنَا الفذ بلقب « الامام » حتى يصير
ذلك لقباً لا يفارق اسمه ولا يعرف إلا به .

على أن هناك رواية نقلها أصحاب التراجم في سبب هذه
التسمية ؛ قال ابن فرحون المدني (١) :

ويحكى عنه (أي المازري) أنه رأى في ذلك رؤيا : رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله أحق ما
يدعونني برأيهم ، يدعونني بالامام ؟ فقال له : وسع الله
صدرك للفتيا « على أن هذه الرواية تثبت ما كان اشتهر به بين
معاصريه من العلم الواسع ورسوخ القدم في الفتيا .

ثناء العلماء عليه :

اتفقت كلمة المؤرخين ورواة الاخبار على أن الامام

(١) « الديباج المذهب » في معرفة اعيان المذهب « لابن فرحون
طبعة مصر سنة ١٣٢٩ هـ ص ٢٧٩ وما بعدها .

المازري كان خاتمة المحققين وآخر المشتغلين من شيوخ إفريقية بتحقيق العلوم الدينية ، وممن بلغ بلا ريب درجة الاجتهاد المطلق . في تواضع خليق بالاعلام أمثاله مع من تقدمه من أصحاب المذاهب ؛ نقل إليك هنا عبارة ذكرها الونشريسي في المعيار : (١) « وقد قال الامام المازري - رحمه الله - بعد أن شهد له أهل زمانه بوصوله إلى درجة الاجتهاد وما قارب رتبته : وما أفتيت قط بغير المشهور ، ولا أفتي به . » وذلك ورعاً منه رضي الله عنه ، وسداً لباب الذرائع ، وخوفاً من تجاسر الجهلة على الافتاء بغير المشهور من أمور الدين .

ومما نقل عنه الونشريسي أيضاً في المعيار قوله في هذا

المعنى :

« ولست أحمل الناس على غير المشهور من قول العلماء ، لان الورع قل بل كاد يعدم ، والتحفظ على الديانات كذلك ، وكثرت الشهوات وكثر من يدعي العلم والتجاسر على الفتوى ،

(١) « المعيار » للونشريسي طبعة فاس على الحجر وخط بمكتبتي

ولو فتح لهؤلاء باب في مخالفة المشهور من المذهب لاتسع
الخرق على الراقع، وهتكوا حجاب هيبة الدين، وهذا من
المفسدات التي لا خفاء فيها.

آراء العلماء فيه :

قال القاضي أبو الفضل عياض السبتي عند التعريف به
وقد أجازهُ المازري بتأليفه من المهديّة (١) :

« هو إمام بلاد إفريقية وما وراءها من المغرب، وآخر
المشتغلين من شيوخ إفريقية بتحقيق الفقه وممن بلغ فيه رتبة
الاجتهاد ودقّة النظر، لم يكن في عصره للمالكية في أقطار
الأرض أققه منه ولا أقوى لمذهبهم، وسمع الحديث وطالع معانيه،
واطلع على علوم كثيرة من الطبّ والحساب والآداب وغير
ذلك، فكان أحد رجال الكمال في العلم في وقته، وكان حسن
الخلق، مليح المجلس، أنيسه، كثير الحكاية وإنشاد قطع
الشعر، وكان قلمه في العلم أبلغ من لسانه. كتب إليّ من

(١) كتاب «الغنية» للقاضي عياض في ذكر مشيخته (خط بمكتبة

المرحوم الشيخ الصادق النيفر في تونس) .

المهدية يجيزني كتابه المسمى « بالمعلم في شرح مسلم » وغيره
من تواليفه ٠٠ الخ ».

وزاد ابن فرحون على كلام القاضي عياض بقوله (١) :

« كان أحد رجال الكمال في وقته في العلم ، وإليه كان
يُفزع في الفتوى ، وكان - رحمه الله تعالى - حسن الخلق ، مليح
المجلس ، أنيسه ، كثير الحكايات وإنشاد قطع الشعر ، وكان
قلمه في العلم أبلغ من لسانه ، لم يكن في عصره للمالكية في أقطار
الارض أفقه منه ، ولا أقوم لمذهبيهم ».

وقال قاضي القضاة ابن خلدون : (٢)

« هو أحد الاعلام المشار إليهم في حفظ الحديث والكلام
عليه ٠٠٠ وكان فاضلاً متفتناً ».

وقال أبو العباس المقرئ (٣) : « الامام المجتهد أبو عبد الله

المازري ، عمدة النظار ، ومحور الامصار ، المشهور في الآفاق

(١) الديباج المذكور ص ٢٨٠ .

(٢) وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٨٦

(٣) « أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض » لابي العباس أحمد

المقري صاحب فتح الطيب خط بمكتبتي .

والاقطار ، حتى عدّ في المذهب إماما ، إذ ملك من مسأله
زماما .. الخ » .

وقال الورتلاني في رحلته (١) : «الامام النظار المجتهد ،
القوي الباع في تحقيق النظر أبو عبد الله محمد بن علي التيمي
المازري ... الخ » .

وفي الحقيقة أننا لسنا في حاجة الى إثبات مرتبة هذا الامام
الجهيد والعلم الفرد بايراد شهادات المؤرخين فيه ، أو ثناء العلماء
عليه ، ما دامت مؤلفاته القيمة بين أيدينا ، وهي - بلا مرأ -
الحجة القوية على علو مقامه العلمي ، ونيله بحق الصيت العالمي
الذي حاز به رياسة عصره بلا منازع .
آثاره العلمية :

واليك أسماء بعض ما وصل إلينا من مصنفاته بعد بحثنا
الطويل عنها والتنقيب على محتوياتها :

١ - « المُعلِّمُ بفوائد مُسلمٍ » وهو أول شرح وُضِعَ على
صحيح الامام مسلم القشيري ، قال في شأنه العلامة ابن خلدون
(١) « نزهة الانظار » ويعرف برحلة الورتلاني (الحسين بن محمد)
ص ٤٢٩ طبعة الجزائر ١٣٢٦ بعناية صديقنا المرحوم محمد بن أبي الشنب .

في مقدمته الخالدة (١) : « وأما صحيح مسلم فكثرت عناية علماء المغرب به ، وأكبوا عليه ، وأجمعوا على تفضيله ٠٠ وأملى الامام المازري من كبار فقهاء المالكية عليه شرحاً وسماه « المعلم بفوائد مسلم » اشتمل على عيون من علم الحديث وفنون من الفقه ، ثم أكمله القاضي عياض بعده وتممه وسماه « إكمال المعلم » .

وغفل ابن خلدون في تعريفه بشرح المازري عن أنه اشتمل أيضاً على مسائل كثيرة في أصول الكلام ، وأبحاث قيمة في الانظمة الاسلامية ، ومسائل الخلاف ، كمسألة الاجتهاد والامامة وشروط البيعة والمفاضلة بين الصحابة وجواز الجوسسة في الحرب وغيره مما يطول تعداداه .

ويظهر أن الامام - رضي الله عنه - لم يقصد باديء بدء وضع هذا الشرح بالذات ، وإنما كان - على عادة كبار العلماء المتقدمين - ينلئ إملاءات خلال دروسه ، فتجمع من تلك الامالي ما كوّن شرحاً مستقلاً . يؤيد هذا ما حكاه عبيد الله ابن عيشون المعافري الاندلسي - وهو من كبار تلاميذ الامام -

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤١٩ طبعة مصر سنة ١٣٢٠ هـ

قال : سمعتُ أبا عبد الله المازري بالمهدية يقول - وقد جرى ذكر كتابه «المعلم» - : إني لم أقصد تأليفه ، وإنما كان السبب أنه قرىء علي صحيح مسلم في شهر رمضان ، فتكلمت علي نقط منه فلما فرغنا من القراءة عرّضَ عليّ الاصحاحُ ما أمليته عليهم فنظرت فيه وهذّبتّه ، فهذا كان سبب جمعه (١) .

ومن هنا يتضح لك أن طريقة القدماء الاعلام هي عين الطريقة التي يسلكها اليوم كبار الطلبة المترشحين في كليات العلم الجامعة في البلاد الغربية المتعدنة ، فانهم يتلقون الدروس العالية إملاءً ، وينقلون تلك الامالي إلى تأليف مستقلة تصدر بأسماء أساتذتهم ، ولا جديد تحت السماء .

وانظر - يارعاك الله - إلى لطف الامام وتواضعه العلمي ، حيث يعبر عن تلاميذه والآخذين عنه بلفظ : الاصحاح .
ومهما يكن فان كتاب «المعلم» موجود منه نسخ كاملة ،

(١) يستفاد من مقدمة العلم ان اقراءه واملاءه وقع من الامام المازري في المسجد المعروف الآن بمسجد سيدي مطير السكائن برجة النعمة في مدينة المهديّة ، وذلك في خلال شهر رمضان من سنة ٤٩٩ هـ راجع تكملة الصلة لابن البار ج ٢ ص ٣٥٨ من طبعة مجربط سنة ١٨٨٧ .

أو متفرقة في كثير من المكتبات الخصوصية والعمومية ، مثل
جامع الزيتونة رقم ١٠٩٩ ، والمكتبة المصرية ، وجامع القرويين
بفاس ، ومكتبة الشعب بباريس ، وفي تونس ، وغير ذلك •

٢- « إيضاح المحصول ، من برهان الاصول » وهو شرح
ممتع في أجزاء عديدة على برهان إمام الحرمين أبي المعالي عبد
الملك الجويني الشافعي المتوفى سنة ٤٣٨ هـ في أصول الديانة ،
وهو من أهم ما صُنّف في علم الاصول ، وأقدم ما سُرح به
هو تأليف المازري هذا ، ومنه أجزاء متفرقة في مكتبات تونس
وغيرها •

٣- « المعين على التلقين » والتلقين تأليف أبي محمد عبد
الوهاب بن علي الثعلبي المالكي قاضي بغداد ، المتوفى سنة
٤٢٢ هـ قال ابن فرحون : « ليس للمالكية كتاب مثله » وهذا
الشرح يخرج في عدة أجزاء - قيل هي ثلاثون جزءاً - منه
تسعة بمكتبة القرويين بفاس ، ومنه بالزيتونة ، وكذا بالمكتبة
العاشورية وغيرها •

٤- « نظم الفرائد ، في علم العقائد » وهو من أجل

مصنفات الامام ، إذ أنه أفرغ فيه ما آتاه الله تعالى من العلم
الغزير الواسع ، والنظر الدقيق في المعتقدات وأصولها . ولم
تقف على ذكر وجود نسخة منه في المكتبات التي نعرفها .

٥ - أمالي على الاحاديث التي جمعها أبو بكر محمد بن عبد
الله الجوزقي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ من مسند الامام مسلم
القشيري ، وهي كالشرح لما كان مغمضاً منها .

٦ - « تعليق على مدونة سخنون » ولا يخفى أن المدونة
الكبرى هي أمّ كتب المالكية ، وأساس فقهم ، وأول ما دون
في فروع مذهبهم ، ولذا كانت عناية علماء إفريقية والاندلس بها
كبيرة جداً . ويوجد من هذا التعليق جزء مفرد بمكتبة جامع
القرويين .

وأنت ترى مما مرّ بك من تأليف الامام - رضي الله عنه
في أصول الدين والحديث والفقاه اشتغاله الثمر واجتهاده بالعلم
واتساع نظره فيه ، على أن مآثرته لم تكن محصورة فيما تقدم ،
بل إنه اعتنى - وأي اعتناء - بالعلوم الفلسفية والفنون الادبية
والرياضية . ومما سنذكر لك من تصانيفه في شتى الفنون يتضح

لك مكانته الجليلة ، ورسوخ قدمه فيها فمن ذلك :

٧ = « الكشف والانباء على المترجم بالاحياء » وهو نقد وإصلاح لما ورد في كتاب « احياء علوم الدين » للغزالي من الاحاديث الموضوعية ، وكُلُّنا يعلم أن حجة الاسلام الغزالي - رضي الله عنه - بالرغم عن علو مقامه في العلوم الدينية وتفردّه بالآراء الصائبة في فلسفة الاسلام والاخلاق ، لم يكن متحرّياً غاية التحرّي في الاحاديث التي أوردها في تأليفه المتقدم ومن هنا انتقد عليه المازري - وهو المحدث الثقة - تلك الانتقال فأثبت منها ما أثبت ، وأسقط ما سواه .

ولا يظن ظان - رجماً بالغيب - أن المازري ممن يتعامل على الغزالي ، أو يقصد التنقيص من جلاله قدره وعلو كعبه بالانتقاد عليه ، وحاشى امام عالم عادل كالمازري أن يزري بأحد أعلام المسلمين المشار اليهم بالبنان ، في العلم والفضل والبيان ، أو يمت الى الخط من عظمته ، بدليل شهادة المازري نفسه في فضيلة الغزالي ، وغزارة علمه ، وقوة عارضته في

أصول الشريعة السمحة ، فقد قال في حقه (١) « وأبو حامد الغزالي لا يشقُّ أحد غباره في العلم وأصول الدين ». وإنما انتقاده الخالص من دنيء الاغراض موجه إلى ماورد في الاحياء من الاحاديث الموضوعة المنسوبة كذبا وافتراءً على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي من الضعف والوهن الثابت بمكان لا ينكره إلا معانت جاهل بالحديث الصحيح ، ولا يتسنى لمحدث ثبت قد نهضت به فضائله واجتمع فيه العقل الراجح والفهم الدقيق وممارسة العلوم طول عمره كالامام المازري السكوت على مثل ذلك أو التغافل عنه ، لما يعلم من إقبال المتعلمين على الاحياء ، وانكباب المعلمين على مطالعته . فكأنما نقده الصحيح المجرد من شوائب الطعن والحسد ينكر وجود مثل تلك الروايات الضعيفة المعزوة إلى صاحب الشريعة العظيم ، ويرى أنها لا تليق أن تكون مثبتة في مأثرة جليلة ومفخرة من مفاخر التأليف الاسلامية كالاحياء حتى ينسب إليها الضعف والوهن

(١) نقل هذه العبارة الامام القباب في الانتصار إلى الغزالي - راجع

المعيار للونشريسي ج ٦ ص ١٥٧ (قلم).

وبذلك تنعدم فائدتها الاخلاقية العظيمة ، وينقص أثرها الكبير في نفوس المطالعين من أبناء المسلمين . ومثل هذا الانتقاد هو مما يرغب فيه ، ويشكر عليه لما فيه من تنبيه المؤلفين - لا سيما إذا كانوا من الائمة الاعلام - إلى اتقاء تلك الهفوات واجتناب الموضوعات ، والتحاشي عنها ، والاعراض عنها ، وتعويضها بالروايات الصحيحة السالمة من الطعن ، وفيها ما يعني الغناء الكبير عن الموضوعات .

٨ - أمالي علي رسائل إخوان الصفاء حررها في إيضاح بعض مشكلات وردت ضمن فصول تلك الرسائل الهامة في مسائل من العلوم الرياضية والآراء الفلسفية ، وكان إملأؤه لها بطلب من أمير عصره الامير العالم الاديب تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي صاحب افريقية (١) وللأسف الكبير أن هذا

(١) الامير تميم بن المعز بن باديس مفخرة من مفاخر القطر الافريقي - تولى الامارة سنة ٤٥٤ هـ وكانت قاعدة ملكه المهدي ، وتوفي سنة ٥٠١ هـ ، وكان من فحول الشعراء الذين ازدانت بهم دوحة البلاد ، والموجود من شعره كله عيون وغرر . راجع تأليفنا « المنتخبات التونسية » ص ١٠١ طبعة تونس ١٣٣٦ هـ

التعليق أو الانتقاد على رسائل إخوان الصفا لم يبلغ إلينا فيما نعلم ، ولم نقف منه إلا على ذكره من بين مؤلفات المازري .
٩ - « النقط القطعية ، في الرد على الحشوية ، فرقة تقول
بقدم الاصوات والحروف ، لها ذكر طويل في كتب الملل
والنحل ، فليراجع مذهبها هنالك . وهذا تأليف أيضا لم نقف
له على أثر ، ولا على السبب الاصلى في تحريره .

١٠ - « الواضح ، في قطع لسان النابح » : لا نعرف من
هذا التأليف إلا ما أفادنا به المازري نفسه حيث قال : « هو
كتاب تقصينا فيه كلام رجل - وأظنه من صقلية - وصف نفسه
بأنه كان من علماء المسلمين ، ثم ارتد وأخذ يلفق القوادح في
الاسلام ، ويطعن في زعمه على القرآن وطُرق جمعه ، تقصينا
قوله في هذا الكتاب وأشبعنا القول في كل مسألة (١) ، وقد
أشار المازري في محل آخر من « المعلم » أنه نقض قول هذا
الملحد بالادلة التاريخية الصحيحة ، وأقام البراهين والحجج المنطقية
على دحض أقواله وتنفيدها .

(١) كتاب المعلم والاكمال للابوي ج ٦ ص ٢٩٥

ولا يخفى أن القرن السادس - الذي كان يعيش فيه الامام - قد كثر فيه ظهور أهل الاهواء والمخارق والمذاهب الزائفة عن الشريعة الاسلامية ، فكان من واجب العلماء المبرزين في ذلك العهد الذب عما أجمع عليه المسلمون آراءهم من لدن عصر الصحابة الكرام ، وتأيد السنة المحمدية بدفع الاطعان الموهوة ، ودحض الشبهات الملفقة ، تسيها للامة إلى مقاصد هؤلاء النازعين .

١١ - « كشف الغطا، عن لس الخطا » : هي رسالة في مسألة فقهية دقيقة استفتي فيها فأجاب عنها بايضاح وعلم وتحقيق ، وقد وقت عليها ، ومنها نسخة بالزيتونة .

١٢ - كتاب في الطب - (كذا) والمشهور أن المازري وضع تأليفا في علم الطب عقب حادثة حدثت له يذكرها أصحاب الطبقات في ترجمته ، فيحكى أن سبب طلبه لهذا العلم ونظره فيه أنه مرض مرة فكان يعالجه طبيب يهودي بالمهدية وفي أثناء المعالجة قال له الطبيب : يا سيدي ! مثلي يطب مثلكم ! وأي قربة أجدها أتقرب بها من ديني وأهله مثل أن أفقدكم

للمسلمين ! • فلم يجبه الشيخ بشيء ، ثم لما عوفي أفرغ جده في دراسة الطب حتى أتقنه وملك زمامه وألف فيه ، حتى قيل إنه كان يفزع إليه في الطب ، كما يفزع إليه في الفتوى في الدين • وإنا لنستبعد - كل استبعاد - حصول مثل هذه الحكاية ، إذ يصعب علينا اعتقاد أن طبيباً - مهما كان دينه وجنسه ودرجة علمه - يتفوه بمثل هذا الحديث الخارج عن أدب الصناعة وأدب المعاشرة ، ومع ذلك فانا لا نكر أن الامام - رضي الله عنه - درس الطب وألف فيه ، لا سيما وقد نقل مترجموه أنه كان « درس فنونا كثيرة من أدب وحساب وطب وغير ذلك » (١) فلا يستغرب حينئذ من تدوينه في الطب وإن لم يصل إلينا تأليفه المشار إليه • يؤيد هذا الرأي ما نسوقه إليك بعد من كلام المازري في مسألة طيبة أوردها عرضاً ضمن كتابه « المعلم » بمناسبة حديث التداوي بالعسل من صحيح مسلم ، وقد أنكر بعض جهلة الاطباء المعاصرين ذلك قائلاً : « قد أجمع الاطباء على أن العسل مسهل ، فكيف يوصف لمن به إسهال ؟ »

(١) الديباج لابن فرحون ، وأزهار الرياض وغيرها •

فأجاب المازري عن هذا الاعتراض البارد بقوله :

« الأشياء التي يفتقر فيها الى تفصيل قلما يوجد فيها مثل ما يوجد في صناعة الطب؛ فان المريض المعين يجد الشيء دواءً له في ساعة ، ثم يصير داءً له في الساعة التي تليها لعارض يعرض له ، فينتقل علاجه الى شيء آخر بسبب ذلك ، وذلك مما لا يحصى كثرة ؛ وقد يكون الشيء شفاءً في حالة وفي شخص فلا يطلب الشفاء به في سائر الاحوال ولا في كل الاشخاص ، وأهل الرأي من الاطباء مجمعون على أن العلة المعينة يختلف علاجها باختلاف السن والزمان والعادة والهواء وتدير المؤلف؛ فاذا علمت هذا فينبغي أن تعلم أن الاسهال يعرض من وجوه كثيرة ، ولو كان كتابنا هذا كتاب طب لاستوفينا ذكرها ، فمنها الاسهال الحادث عن التخم والهيضات ، والاطباء مجمعون على أن علاجه بترك الطبيعة وفعلها ، وإن احتاجت الى معين على الاسهال أعينت ما دامت القوة باقية ، وجسه ضرر واستعجال مرض ؛ فهذا الرجل يمكن أن يكون اسهاله من امتلاء وهيضة ، فدواؤه تركه والاسهال ، أو تقويته . ويجب حيثئذ الاشارة عليه

بشرب العسل ، وربما الزيادة منه الى أن تنفى المادة فيقف
الاسهال ويكون الخلط الذي بالرجل يوافق فيه شرب العسل الخ
وأنت ترى في هذه الفقرة كلام متفنن في الصناعة الطبية
غارف بقواعدها السكلية والجزئية ، ومنها يتضح لك أن المازري
كانت عنده أكثر من المشاركة في علم الطب ، فلا يستغرب
أن ألف فيه تأليفا خاصا .

١٣ - « تثقيف مقالة أولي الفتوى ، وتعنيف أهل الجهالة
والدعوى » رسالة من تأليفه ذكرها له (البرزلي) في باب القضاء
والشهادات من مجموعته الكبيرة للفتاوى الافريقية (١) ونقل
عبارة الامام عن سبب وضعه لهذا الجزء ، حيث يقول : « وقد
نزل بالمهدية - وفيها جماعة من أهل الفتوى - مسألة من الشفعة
في بعض وجوهها ، وانفذ الي القاضي ابن شعلان - رحمه الله -
السؤال ، فافتيته ان الاثبات ليس كحكم نقذ ، ثم استفتى من
كان يفتي ، فأفتوا كما أفيت ، وهذا منذ خمسين عاما ، وورد بعد

(١) وتسمى هذه المجموعة « جامع مسائل الاحكام مما نزل بالمقتنين
والحكام » خط بمكتبتي .

ذلك من القيروان جواب ممن كان يدعي علم الاصول ، أشار فيه الى المخالفة ، فأملت فيه إملاءً طويلاً ترجمته « بثقيف مقالة أولي الفتوى ، وتعنيف أهل الجهالة والدعوى ، وأشرت بهذه الترجمة الى وجوه خالف فيها من أشرنا اليه ، وأوضحت فساد ما عول عليه ، وهو الآن موجود بالمهدية ٠٠٠ »

ولا مرآء ان المازري عُرف طيلة حياته بصراحة القول ، والاصداع بالحق في كل المواطن ، كما اشتهر بمجانبة حكّام الجور ، التعرض للولاة المستبدين في زمان كان السلطان فيه لحُكم الاطلاق في سائر الممالك الاسلامية، وكان ذلك من أكبر الاسباب في تراجع سياسة المسلمين الى الوراء حتى ساقها الى التدهور والسقوط في الشرق والغرب

وفي نظرنا ان الذي حمل المازري على مجاهرة الظالمين ، وتجرده لانصار الحق ، وعدم مبالاته بالسلطة المطلقة هو ما جُبلت عليه طبيعته من التقوى وتمسكه بالمبادي الاسلامية العالية ومن ناحية اخرى إعراضه عن الوظائف الرسمية كولاية القضاء وغيرها ، مما حمل جمهور الشعب على إجلاله والالتفاف حوله

وأتباع أفعاله وآرائه ، لذلك خافه ولاة الاستبداد واتفقوا
سلطانه الروحي وأمسكوا عن مسه بسوء .

وكأنه أحس بتأييد الشعب لسلكه فلم يتأخر عن مقاومة
المظالم والتشهير بها ولم يراع في ذلك غير تقواه ، والخوف
من الله تعالى ، فزاده موقفه إكبارا وتعظيما في أعين معاصريه ،
وأحله مرتبة عليّة في نفوس عارفيه .

يؤيد ما قدمنا آنفا ما جاء في بعض وصاياه : « ... وينبغي
للملك ان يكون حريصا على أخبار عمّاله ، ويستكشف عن
بواطنهم حتى يظهر له ما جُبلوا عليه ، فيجازي كل واحد
بعمله .

ولا يزال أمر ذي السلطان رفيعا معظما مهابا ، ما لم يأخذ
في نقض عرى الشريعة ، وربما تجرّأ بعض الملوك وسمحوا
لعمّالهم وأصحاب أشغالهم وكتّابهم وأعوانهم وأولادهم
بتهتك الحرم ، والاعتداء على الرعية ، والتسلّط عليهم بأخذ

أموالهم بغير حق ، فعند ذلك يسلبهم الحسبُ تعالى العزَّ
ويُجرّدهم من النعمة (١) ٠٠٠ الخ »

وانظر أيضا الى ما كتب في طالعة إحدى فتاويه معرّضا
بتساهل بعض معاصريه على الافتاء بغير علم ولا تقوى : (٢)

« الحمد لله الذي لا يحمد سواه، ولا يستخار في جميع الامور
إلا اياه ، ونستعيذه أن نكون ممن غلب عليه هواه ، فجعل الجهل
منقلبه ومثواه ، والى الله أرغب ان لا يجعلنا ممن ظن ان العلم
معناه الدعوى ، وأراد ان يمّوه على العامة بالفتوى ، وهيات
ما العلم الا ما شهد به أهله ، وما الفضل الا ما عرف عنه
فضله ، وليس الفقه عند من قال أنا ، وقع بالمدحة والثنا ٠٠٠ »

ومثل هذا كثير جدا في تحريرات المازري ، ولو
تكلّفنا استقصاء كل ما كتب في معنى معارضة المتفقيين الجاهلين

(١) بتنهنا مجبنا العالم العامل محمد العربي الماجري - أحد شيوخ
الزيتونة - الى وجود اختصار هذه الوصية في احد المجاميع الخطية التي
بمكتبته الخصوصيّة - فله الشكر على ذلك .

(٢) ك « جامع مسائل الحكماء » للبرزلي المتقدم .

أو الموالين لذوي السلطان الجائر لما خرجنا عن حدود بحثنا
وتحدينا قاصديه .

وزبدة القول : إن ما وضعه الامام المازري من المؤلفات
في مختلف العلوم والفنون من حديث وقفه وأصول وجدل
وأدب وطب وغير ذلك، لدليل واضح على طول باعه في العلوم
وتبحره في العرفان، حتى صار المشار إليه بالبنان في ذلك الزمان.
ثم إنا لا ندرى هل كان له مصنفات آخر عدا ما ذكرنا لم تبلغنا
أسمائها الامر الذي نشاهده في كثير من علمائنا الاعلام، وما
ذلك إلا لاهمال او غفلة كثير من مؤرخينا عن إيراد تراجم
مستوفاة لعظماء رجالنا ، حتى يضطر الباحث الآن الى مراجعة
الكتب العديدة بقصد التقاط نف مبعثرة هنا وهناك لا تسمن
ولا تشفى غليلا .

نموذج من تحاريره :

وأيا كان السبب فانا نقتنع بأن نسوق إليك هنا نموذجا من
تحرير علمنا الجهد ؛ ليتبين لك مقدار رسوخه في القوى ،

ورجحان فكره الثاقب في المسائل التي كانت تعرض على اجتهاده
فيبيدي فيها وجهة نظره .

فمن ذلك : أنه سئل عن قوم يجتمعون بالليل بعد صلاة
العشاء الاخيرة (في مدينة سوسة والمنستير) ومعهم قناديل
يمشون فوق السور يذكرون أنهم يريدون العسكر ، ويقولون
باجماع أصواتهم « سبحان الله العظيم » بتطريب وتحزين ،
وينصرفون على تلك الصفة يمشون في الازقة ، ويجوزون على
المجازر والمزابل ، وهم على تلك الحال من الاجتماع والتطريب ،
إلى أن يبلغوا السور ، وقد نُهوا عن فعل ذلك في الطرقات
وأمام المزابل ، ونهوا عن التطريب والاجتماع ، وامروا ان
يكونوا على السور و يتركوا التطريب ، وأن سنة الحرس في
الرباط التكبير والتليل ؛ فهل يهون عن هذا - وهو بدعة -
ولا يذكرون الله إلا في المواضع الشريفة من غير اجتماع ولا
تطريب ؟

فكان جوابه :

« الاجتماع بالذكر والتطريب والتحزين ، ورفع الصوت

قد نهى عنه العلماء وأنكروه وعدوه بدعة ؛ وقد قال صلى الله
 عليه وسلم: « عليكم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ،
 عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الامور ، فكل
 محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » . وقد علم أن هذا الفعل
 لم يكن مما سبق في الزمن الاول ، ولا فعله السلف
 الصالح من الصحابة ، لقوله: « أصحابي كالنجوم » مع العلم بأنهم
 أعبد ممن يأتى بعدهم ، ونقل عنهم بالتواتر أنهم شديدو
 الحزم في الازدياد من الطاعة والحمل على النفس من مقاساة
 القربات ، حتى ليخف عليهم إراقة دمائهم ، وقتل أولادهم
 وآبائهم في الجهاد في ذات الله ورسوله ، فلو كان خيرا ما سبق
 هؤلاء إليه ، وقد قال تعالى « كُنْتُمْ حَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
 لِلنَّاسِ » وقال تعالى « تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا » الآية ، وقال
 صلى الله عليه وسلم: « لو أنفق أحدكم مثل جبل أحد ذهبا
 ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » . فمن عرف هذا وجب وقوفه
 عما وقفوا عنده ويفعل ما فعلوه ، وهم كانوا لا يفعلون هذا
 ولا يعتقد عاقل أن يقول : ما فعلوه تخفيفا على أنفسهم من المشقة

بل هو أخف شيء عليهم لو أرادوه ؛ وكذا من بعدهم من السلف لم يرد عنهم الأمر بهذا ولا الحض عليه ، وما ذاك إلا لاتباعهم من مضى ولو لم يكن فيه إلا أن العلماء سكتوا عنه ولم يفعلوه لكان من حق العاقل ألا يفعله ، فكيف وهم أنكروه ونهوا عنه ؟ قال مالك فيمن يقرأ القرآن بالالحن ويعلم ذلك الجوارى كالغناء : ما «هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن» فجعل حجته أنه لم يفعله من مضى بعده بدعة ، وأيضا فإظهار هذه المعاني من نوافل الخير ، وقد لا تخلص النية فيها ويقصد بها المباهاة والرياء وابتغاء عرض الدنيا ، وهو خلاف الشرع ؛ وقد أمر الشرع بإظهار صلوات الفرض وإخفاء النوافل ، لان قواعد النوافل في النيات تطرق أكثر منها في الفرائض لاجتماع الناس عليها . وكذا تكلم العلماء في إظهار الزكاة .. وهي فرض - وإخفائها ، لقوله تعالى « إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ » الآية . وفي الصحيح ما يقتضي منع الصوت بمثل هذا : « إنكم لا تدعون أصم » الحديث . وإنما أيسح في حضور الرباط حين العسس من رفع

التكبير أو غيره من الذكر لِمَا فِيهِ مِنَ المصلحة لاشعار من يريد اغتيال الحُصْنِ أَنَّهُمْ حذرون مستعدون لدفاعه ؛ وأما الاجتماع والتلحين في الاسواق والمجازر فلا مصلحة فيه ولا ضرورة تدعو إليه مع ما فيه من استهجان ذكر الله في المواضع المحترقة الحسيسة ، ولهذا نهى عن قراءة القرآن والاكثار منه في الاسواق احتراماً له ، ولذلك قيل لابن القاسم في الباعة إذا أخذت شيئاً صلّت على النبي صلى الله عليه وسلم - فقال : ليس هو موضع صلاة . ويكفيك بردهم الاتباع لمن سبق من الناس (١) « وعن الشيخ أبي بكر المالكي (٢) - وقد شاهدنا من

(١) الميعار للونشريسي طبعة فاس ج ١٢ ص ٢٤٤

(٢) ابو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بالمالكي - هو وابوه من قبله من كبار رُواة العلم والتاريخ بأفريقية ، وكان ابو بكر هذا ممن بقي من العلماء بعد خراب القيروان على يد الاعراب الهلاليين - سنة ٤٤٧ - ، وهو من شيوخ الامام المازري رضي الله عنهما - وتوفي سنة ٤٧٤ ، وله كتاب حافل في تراجم علماء افريقية وصلحائها معنون باسم «رياض النفوس» منه نسخة كاملة بمكتبة الشعب بباريس ، واختصاره في دار الكتب المصرية وبمكتبة شيخ الاسلام عارف افندي بالمدينة المنورة وبمكتبتي الخصوصية (وترجمة المالكي بالمدارك لعياض - خط - وبمعالم الايمان ج ٣ ص ٢١٧) وطبع منه الجزء الاول بعناية الاستاذ حسين مؤنس في مصر سنة ١٩٥١

فضله ودينه وجلاله وعلمه بالاخبار ما يحصل الثقة في أنفسنا بما يحكيه - أن يحيى بن عمر (١) كان سمع بزقاق الروم - وهو طريقه إلى الجامع بسوسة - فريقا يكبرون أيام العشر، ويرفمون أصواتهم بالتكبير، فنهاهم عن ذلك وقال: هذه بدعة فلم ينتهوا، فدعا عليهم، ودعاؤه عليهم يقتضي شدة إنكاره لما ابتدع على أمثال هذا؛ وكذا إنكاره حضور مجلس السبت (٢)

(١) أبو زكرياء يحيى بن عمر بن يوسف بن عامر الكنانى، أحد أئمة المالكية الاعلام، مولده بالاندلس وانتقل في صغره الى سكنى القيروان واستوطن آخرها سوسة وهو من كبار تلاميذ سحنون وعليه اعتماده، وتقفه عليه خلق لا يحصون، وكان ثقة مأمونا زامرلة شريفة عند الخاصة والعامه، وتوفي سنة ٥٢٨٩هـ وقبره خارج باب البحر بسوسة مشهور وله تأليف في مواضع شتى غاية في التحقيق والافادة (راجع ترجمته بطبقات أبي العرب وألحشى ص ١٢٤ والمدارك لعياض - خط - والديباج ص ٣٥١ وغير ذلك) وقد افردت له ترجمة مستوفاة في تعليقي على كتابه « احكام السوق » الذي سأطبعه قريبا ان شاء الله .

(٢) كان يوجد بالقيروان - خلال القرون الثالث والرابع والخامس - مسجد يعرف بمسجد السبت يعقد فيه لنيف من العامة وبعض من ينتسب الى التزهيد مجلسا للذكر والرفائق وانشاد الاشعار في معنى الزهد يوم السبت من كل اسبوع وقد نهى عن هذه الاجتماعات كبار علماء القيروان المصلحين مثل يحيى بن عمر المتقدم وشيخ المالكية عبد الله بن ابي زيد وغيرهم وعدوها بدعة سيئة والفوا كتبوا رسائل في النهي عن مثل هذه المجالس لمخالفتها لسنة الصحيحة (راجع جامع السبت بمعالم الايمان ج ٢ ص ٧٣ وج ٣ ص ٢٧ وما بعدها)

وَأَلَّفَ فِيهِ تَأْلِيفًا فَأَمَرَ مِنْ عَانِدِهِ فِي ذَلِكَ رَجُلًا أُنْدَلِسِيًّا حَسَنَ
الصَّوْتِ أَنْ يَصْلِيَ مَعَهُ الظُّهْرَ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ صَلَاتِهِ رَفَعَ الْإِنْدَلِسِيُّ
صَوْتَهُ فَقَرَأَ (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ)
إِلَى آخِرِ الْآيَتِينَ ، فَبَكَى يَحْيَى بْنُ عَمْرِو حَتَّى سَالَتْ دُمُوعُهُ عَلَى
لِحْيَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : - اللَّهُمَّ ! إِنْ هَذَا الْقَارِي مَا أَرَادَ بِقِرَاءَتِهِ رِضَاكَ
وَلَا مَا عِنْدَكَ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ تَقْيِصِي وَعَيْبِي فَلَا تَهْلِهِ ! »

فَيَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ لَهُؤَلَاءَ : أَنْتُمْ وَإِنْ سَبَقَ إِلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ
الْإِزْدِيَادَ مِنَ الْخَيْرِ مَطْلُوبٌ فَيَجِبُ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ لَمْ
تَكُنْ خَيْرًا مِنْ جِهَةِ الْعُقُولِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الشَّهَوَاتِ وَلَا أَحْكَامِ
الْإِرَادَاتِ ، وَإِنَّمَا هِيَ إِدْبَارُ مِنْ جِهَةِ الشَّرِيعَةِ وَمَا رَسَمَهُ مِنْ
آيَاتِهَا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَوَعَدَهُ مِنَ الثَّوَابِ عَلَيْهَا ، فَإِذَا رَسَمَهَا عَلَى
صِفَةِ مِنَ الصِّفَاتِ وَحَدَّ مِنَ الْحُدُودِ ، وَنَهَى عَنْ مَجَاوِزَتِهِ صَارَتْ
الزِّيَادَةُ شَرًّا ، فَإِنْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْاجْتِهَادِ فَهَلَمُوا إِلَى الْمُنَاطَرَةِ ،
وَإِنْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ التَّقْلِيدِ فَيَسْأَلُونَ أَهْلَ الْعِلْمِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى
(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)

وقد أخبرناك بما تقدم لملك وأصحابه وغيرهم من العلماء
فلا ينبغي التساهل في هذه المعاني ولا يُغفل عن تفقدها ولا
عما وقع منها ، فصغار الامور تجر كبارها ، وربما كانت هذه
حيلة لاستمالة قلوب الاغنياء وصيد دراهمهم ، فان قال هؤلاء
المستفتى فيهم : لسنا نريد إلا وجه الله ؛ قيل لهم : أصل مالك
حماية الذرائع ، ففي بعض مسائل المدونة : أخاف ان صحّ من
هؤلاء أن لا يصح من غيرهم ، وقد سئلت عن بعض لباس
هؤلاء المتهمين للخزّ والمسوح والصوف الحشن الاسودفأنكرت
ذلك . وسئل مالك عن اللباس الحشن من الصوف ، فقال : لا
خير في الشهرة وينبغي أن يخفي الانسان من عمله . فقيل له :
انما يقصد بهذا التواضع ، قيل : يجد بثمنه من غليظ القطن ما
يقوم مقامه !

فأنت ترى كيف أنكر هذه ، فكيف به لو سئل عن لباس
المسوح والثياب السود من الصوف ؟ هذا ، وقد قال النبي
- صلى الله عليه وسلم - (ألبسوا البياض وكفنوا فيه موتاكم
فانه من أفضل لباسكم) الحديث ، فهذه الصفة مخالفة للحديث

ولمّا روي عن مالك ، فإن رأوا مخالفة من تقدم برأيي وتأويل
لم يتركوا لرأيهم ويبين لهم فساد رأيهم . وعن عمر - رضي
الله عنه - أحب للقاري أن ترى عليه الثياب البيض .

وقد رأيت الائمة الذين أخذت عنهم علم الشريعة - وهم
أئمة عصرهم - استثقال هذه المعاني وانكارها ، ولو لم يكن في
هذه الا التشبه برهبان النصارى ، فقد اشتهروا بهذا التزي
حتى قال فيهم الشاعر :

أصوات رهبانٍ دِيرٍ في صلّاتهم سود المدارع نقارين في السحر
وقد ختم القاضي ابن الطيب كتاب « الهداية » له
بكتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فذكر من بعض
فصول الامر التشبه بزي لا يجوز التشبه به ، وهذه الخيالات
يستمال بها قلوب العوام ويريبهم الانسان أن سواد قلبه من
الحنن كسواد لباسه ، وهي مسخر وملاعب .

وعن أبي هريرة : أعوذ بالله من خشوع النفاق والمسكنة
وهو أن يرى الجسد خاشع والقلب ليس بخاشع ، وقيل في
رجل أظهر من الخشوع والمسكنة فوق ما هو عليه : « أترى

هذا أخشع من عمر الذي كان ينزو على الفرس من الارض .
وهؤلاء الخلفاء الراشدون ولم ينقل عنهم أن هذا المقدار هو
كان لباسهم وزيتهم ، فان ظنَّ أخرق أن يفعل في اللباس وغيره
ما هو أولى عند الله وانه اجتهد فيما فرطوا فيه أو عرف ما لم
يعرفوه فقد خلع ربقة العقل والمسكنة في هذا الدين من ربقة.
وهذا الافراط في التشفّف قد نهى عنه صلى الله عليه
وسلم وأنكر على قوم من أصحابه ما أرادوه من التبتل ، وأخبرهم
أنه أخشاهم لله لما طلبوا منه التبتل ، فاعلمهم أن التقرب انما
هو بين رؤوسهم والوقوف عندما به حكم ، فقال : (لارهبانية
في الاسلام)

فينبغي أن يُشَنَّع على من ظن به جهل بما ذكرناه ولم
يتعلمه أن ينفّر العامة منه ، فان من قصد بهذا غير وجه الله أو
تحيل على جاه أو مال أو صيت فقد تعرّض لسخط الله تعالى .
وقال صلى عليه وسلم . (من سخط الله على العالم أن يميت قلبه
قيل : يا رسول الله : كيف يميت قلبه ؟ قال . يطلب بعلمه الدنيا)
وتوعّد أيضا أنه يُلقَى في النار حيث تنقلب أفتابه ويقال له

كنت تقرأ ليقال وقد قيل . وقال سحنون . طلب الدنيا بالدف
والمزمار أحب إلي من طلبها بالدين .

وهذه أمور قد كثر التحيل فيها على اراحة النفس من
طلب العيش ان يكون الانسان عالة على غيره أو مسموع القول
أو مبيجلاً أو مكرماً . ومن صدق بما في كتاب الله من قوله
سبحانه (يوم تُبلى السرائر) وقوله (يعلم ما في أنفسكم
فاحذروه) (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى)
فلا يكون كهذا . ولسنا نشير في جوابنا هذا الى أحد من
الناس بل ربما أمكن أن يتخذ هذه الامور من لا يقصد بها
أمراً مذموماً مما ذكرناه ، ولكن حقه اذا نصح الله ورسوله
والمسلمين أن لا يفتح باباً يجر غيره مما لا يقصد به وجه الله
تعالى الى ركوب ما نهى الله عنه ورسوله ، فقد كثر في هذا
الزمان هجران الحقائق ، وربما اتخذت هذه المعاني حيلاً
وشباكاً لتحصيل جاه أو مال . وليس شيء انتهى عن فعله على
الاطلاق ولكن على التفصيل الذي ذكرناه . ونامر بتبجيل
المنقطعين الى الله واكرامهم وخدمتهم ، فمن خدم الله تعالى

كان حقيقا ان يخدم ولكن بعد صحة القصد والنيات في اتباع حدود الشريعة ، ونأمر بالتكثير عن لَجِّ في ذلك واتخذة معاشا؛ كما قيل لبعض الصوفية : أتبيغي مرقتك ؟ فقال: هل رأيتم صيادا يبيع شبكته !!

فأصحاب هذه الشباك ينبغي أن يتحفظ منهم ، وينفر الناس عنهم وحسب العاقل أن يسلك مسالك من قد مضى « ومن مضى أعلم ممن بقى » كما قال مالك رضي الله عنه .
والله سبحانه ولي التوفيق . (١)

فانظر - يارعاك الله - الى حصافة آراء امامنا الفذ والى أسلوبه الحكيم في التقرير والاستنتاج المرتكز على فهم مقاصد الشريعة وأصول السنة السمحة ، وانظر ايضا الى غيرته على سلامة المعتقد من غوائل البدع وشوائب التدجيل ، حتى أنه ليخيل اليك بعد الاطلاع على جوابه انه حرره وهو يشاهد العصر الحاضر الذي كثرت فيه المخارق والالاعيب بمبادي الدين

(٢٦) من ك « المعيار » لرونشريسي - خط بمكتبتي وص ٢٤٣

من طبعة فاس الحجرية جزء ١٢

العالية - والله يرزقنا الهداية ويرشدنا الى الحق .
ولنطرح أمامك جوابا ثانيا للامام - رضي الله عنه - في
مسألة مهمة تخص أصلا من الاصول العامة لقانون العلائق
بين الامم ، وهي مسألة الاعتراف بالقضاة المتولين من قِبَل
أمير غير مسلم والعمل بأحكامهم وتنفيذها في بلاد الاسلام .
وهذا السؤال ورد على الامام - وهو بالمهدية - من جماعة
المسلمين المقيمين تحت ذمة النصارى بصقلية بعد انجلاء حكم
الاسلام من تلك الجزيرة ، ونصه :
وسئل الامام المازري عن أحكام قاضي صقلية وشهادة
عدولها ، ولا يدري اقامة المسلمين هنالك تحت أهل الكفر
اختيارية أو ضرورية ؟

فكان جوابه رضي الله عنه :

« القادح في هذا على وجهين : الاول في الكلام على
القاضي من ناحية العدالة حيث أقام يلد الحرب في قيادة أهل
الكفر وذلك لا يباح ، والثاني من ناحية الولاية إذ هو مولى
من قِبَل أهل الكفر . فالاول له قاعدة يعتمد عليها شرعا ،

وهي تحسين الظن بالمسلمين ومُباعدة المعاصي عنهم ، فلا يعدل عن هذا الاصل لظنون قد تكون كاذبة ، ومثاله حكمنا بظاهر العدالة ، وقد يجوز في الخفاء وفي نفس الامر أن يكون ارتكب كبيرة إلا من قام الدليل على عصمته ، وهذا التجويز مطروح ، والحكم للظاهر اذ هو الاصل ، الا أن يظهر من المخائل ما يخرج عن الاصل ، فيجب التوقف حينئذ حتى يظهر ما يوضح .

« وهذا المقيم ببلد الحرب ان كان اضطرارا فلا شك أنه لا يقدر في عدالته ، وكذا ان كان اختيارا جاهلا بالحكم او معتقدا للجواز ، اذ لا يجب عليه أن يعلم هذا الطرف من العلم وجوبا يقدر تركه في عدالته .

« وكذا ان كان متأولا وتأويله صحيحا كاقامته بدار الحرب لرجاء افتكاكها وارجاعها للاسلام أو لهديته أهل الكفر أو نقلهم عن ضلالة ما ، وأشار اليه الباقلاني ، وكما أشار أصحاب مالك - رحمة الله تعالى عليه - في جواز الوصول لفكالك أسير ؛ وكذا ان كان تأويله خطأ ووجهه لا تنحصر كما أن الشبه عند

الاصوليين لا تنحصر؛ وربما كان خطأ عند عالم وصوابا عند آخر، على القول بأن المصيب واحدا بالآخر معذور، أما لو أقام بحكم الجهالة والاعراض عن التأويل اختيارا؟ فهذا يقدر في عدالته. « فمن ظهرت عدالته منهم وشك في وجه إقامته فالاصل عذره، لأنَّ جُل الاحتمالات السابقة تشهد لعذره، فلا تردّ لاحتمال واحد. إلا أن تشهد قرائن أن إقامته كانت اختيارا لا لوجه. « وأما الوجه الثاني وهو تولية الكافر للقضاة والعدول، والامناء وغيرهم، فحجز الناس بعضهم عن بعض واجب حتى ادعى بعض أهل المذاهب أنه واجب عقلا. وقد أقام في المدونة شيوخ الموضع مقام السلطان عند فقدته خوف فوات القضية. فتولية الكافر لهذا القاضي العدل إما لضرورة إلى ذلك أو لطلب من الرعية لا يقدر في حكمه وتنفيذ أحكامه كما لو ولاء سلطان مسلم، والله الهادي لسواء السبيل (١) »

(١) مقتطف من كتاب « الدكّانة » للشيخ عظام القيرواني - خط

هجرة الصقليين الى افريقية



إذا كانت نصوص التاريخ التفصيلية عن نزوح بقايا مسلمي الأندلس الى المغرب الأقصى وتونس تعوزنا ، مع قرب عهد هذا النزوح من عصرنا الحاضر ، فإن الأخبار الواصلة إلينا عن هجرة مسلمي صقلية الى افريقية التونسية بعد استيلاء النرمان على الجزيرة - سنة ٤٨٦ هـ - تكاد أن تكون معدومة بالمرّة .

وغاية ما يقال ان عدد اللاجئين من أهالي صقلية الى المدائن التونسية - في مدة خمسين سنة - كان لا محالة وافرأ جدا ولا يقل عن خمسين الف شخص على أقل تقدير ، من بينهم فلاحين عارفين أثرياء ، وتجار مياسير ، وعلماء مبرزين مثل الامام المحدث اللغوي الكاتب البليغ (عمر بن خلف بن مكّي الصقلي) الذي تولى القضاء بمدينة تونس على عهد بني خراسان ومنهم أدباء مجودون مثل الشاعر الطائر الصيت (عبد الجبار بن حمديس) الذي مدح أواخر ملوك صنهاجة بالمهدية ، وغيره وغيره مما لا يكاد يحصى عددا .

والذي يهمننا من هذا كله هو ما يؤثر عن الامام المازري
من انه كان - في تلك الاثناء - يكرم من يقد على افرقية من
مهاجري صقلية ، فيوسع على فقيرهم ، ويساعد بالنصيحة الميسور
منهم ، عطفًا على اولئك اللاجئين المصابين بفقدان الوطن ، وقد
استقر منهم كثيرٌ في أحواز المهديّة ، والمنستير ، وسوسة ،
فاشتروا الارضين لاثمارها بالفلاح ، فكان المازري أكبر معين
لهؤلاء على استقرارهم في الوطن الجديد ، وتأسيس غربتهم ،
وفي الواقع ان هذه العاطفة كانت تخالج ضمير سائر سكان
الساحل إلا أنها ربما كانت أظهر عند المازري لما تربطه بهم
من أواصر الاغتراب ، نظير ما حصل - خمس قرون بعد ذلك -
لجالية الاندلس النازحة الى التراب التونسي عقب الجلاء الاخير .
ولا غرابة أن تصدر عن المازري تلك الفتوى الفريدة من
نوعها لاعدار أهل صقلية عن مهاجرة بلادهم ، وان يظهر من
الرأفة والشفقة لمن بقي منهم فيها ، وهو أعلم الناس بحالهم ،
وبما كانت تكنه نفوسهم من الحسرة على مبارحة أوطانهم ، والله
يفعل ما يريد !

رفع التباس

طالما يعرض للباحثين عن تراجم علماء صقلية الوقوف على اسم : ابي عبد الله محمد المازري ؛ فربما يتبادر للفكر بايدي بدء أنه الامام المازري المخصّص بهذه الترجمة ، والحقيقة أنه وجد أكثر من عالم عرف بهذا الاسم وهذه الكنية وهذا النسب ، ومن أجل ذلك تسرّب الى غير واحد من الباحثين في القديم والحديث التباس بين أفراد متغاثرين ، مما أدى الى الخلط بين علماء واعتبارهم شخصا واحدا .

ومن الاسباب التي حملت على هذا التخليط هو أن هؤلاء الاعلام كان يجمعهم - زيادة على الاسم واللقب والنسبة - الاشتغال بعلوم الدين والمعاصرة في الزمان .
ولرفع هذا اللبس أردت أن أعرف بكلمة وجيزة كل واحد منهم .

تقدّم في طليعة هذه العجالة أن المازري يُنسب الى (مازرة - أو - مازر) بلدة من جزيرة صقلية (١) ، وهي
(١) مازرة : بميم مفتوحة بعدها الف وفتح الزاي والراء

أقرب مدائنها إلى القطر التونسي ، فلا عجب حينئذ أن امتازت
مازرة- في عصر الفيض الاسلامي- بمسائرة برّ العدوّة الافريقية
في تقاليد ومشاركته بالنصيب الوافر في العلوم والاداب العربية ،
وكانت مازرة آخر معاقل الاسلام بالجزيرة : وقد أنبت
عشرات من العلماء ما بين فقهاء ومحدّثين وأدباء وشعراء فصحاء
ومن يرجع إلى تاريخ صقلية العربية يجد ما فيه إقناع وإمتاع .
المازريون :

أولهم - أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج ويعرف (بالذكي)
المازري ، فقيه حافظ مقدّم في المذهب المالكي ، مشهور بالعربية
وسائر العلوم ، مولده بمازرة وتحول إلى القيروان بعد استيلاء
الافرنج على بلده فأخذ عن الامام السيوري وغيره ، ومن
تلاميذه الافريقيين الرجل الصالح أبو الفضل ابن النحوي
التوزري ورحل الى المغرب الاقصى ثم عاد الى افريقية ومنها قصد
المشرق وأقام بمصر والشام والعراق ، وعلم في بغداد العربية
وفنون اللغة ، واستقرّ آخرها في إصبهان في بلاد فارس وبها توفي

سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) وألف كتباً كثيرة في القراءات والتفسير
واللغة والنحو .

الثاني

أبو عبد الله محمد بن مسلم بن محمد بن أبي بكر القرشي
المازري ، قرأ أولاً ببلده ثم نرح إلى إفريقية فأخذ بالقيروان على
جماعة من أفاضل علمائها ، درس الاصول على أبي الطيب عبد
المنعم وغيره ، ثم رحل الى الحجاز ومصر واستقر أخيراً
بالاسكندرية وأقرأ بجامعة ، وكان من كبار علماء الاصول والكلام
ومال في آخر حياته الى التصوف كما فعل الغزالي ، ومن أشهر
تأليفه: كتاب « البيان في شرح البرهان » لابي المعالي الجويني -
وله « المهاد في شرح الارشاد إلى تبيين قواعد الاعتقاد »
للجويني أيضاً ، وهو من أحسن ما شرح به ، منه نسخة قيّمة
قديمة بمكتبتي الخصوصية .

وكان وفاته بالاسكندرية سنة ٥٣٠ هـ (١١٣٦ م)

الثالث

أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المشهور بالامام المازري ، وهو المخصص بهذه الترجمة .

وفاته

عاش الامام المازري حياة طويلة هنيئة مملوءة علماً وعملاً وتقوى ونصيحة للقريب والبعيد ، وقد عمّر حتى بلغ الثالثة والثمانين ، وأدرّكته المنية في مدينة المهديّة التي اتخذها مقراً ومسكناً من زمن دراسته إلى أن توفي بها يوم السبت الثامن من ربيع الاول سنة ست وثلاثين وخمسمائة (١٢ أكتوبر ١١٤١م) في مدة آخر الامراء الصنهاجيين الحسن بن علي بن يحيى ابن تميم بن المعز ، وكان لموت الامام المازري رنة عظيمة في أنحاء البلاد الافريقية ، وتوجّع لفقدانه سائر السكان من حاضر وباد

ضريحه

وتقل جثمانه من الغد في زورق على طريق البحر من المهديّة إلى المنستير ، حيث مدفن الصالحين والعلماء والزهاد والمرابطين النسّاك ، حول ذلك الرباط المبارك الشامخ الذي

كان يفرع إليه سكان الساحل الافريقي عند الشدائد ، وهرع الناس زرافات ووحدا من سائر مدائن الساحل وقراه لحضور الجنازة ، ودفن بعد الظهر في حفل رهيب قلما تأتي لعالم في عصره ، وأقيم بعد قليل على قبره ضريح بسيط مسامت للبحر ، ودام هذا البناء إلى أواخر القرن الثاني عشر للهجرة .

وفي تلك الاثناء كانت أمواج البحر تغور باستمرار على الشاطئ إلى أن اقتربت جدا من الضريح ، وخشي أولوا الفضل من العلماء على القبر من غمرات الموج فاتفقوا على نقله - مع غيره - إلى مكان ليس بالبعيد من الاول ، فنقل رفاته - رضي الله عنه - ليلة الاحد الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة ١١٧٦ هـ (٩ يونية ١٧٦٣ م) إلى المقام المشهور به الآن في مقبرة المنستير تحت ظل المحرس الكبير .

وكان الأمر بهذه النقلة وبناء الضريح الحالي هو أمير عصره علي باي الثاني بن حسين بن علي مؤسس الاسرة الحسينية وقد نقشت العبارة التالية على حجر رخامي نصب في مدخل التربة فوق باب المقام :

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات
أسس هذا المقام على ضريحي الشيخين الامامين العالمين أبوني
عبد الله محمد المازري ، ومحمد المّواز ... »

وضلّ هذا الضريح إلى يومنا المشهود من أبرك المزارات
وأجمل المقامات ، يزيد ريعان الموقع بهجة وجلالا ولا غرو
فانه يواجه البحر من ناحية ، وحصن الرباط الشامخ الذرى
من أخرى •

أمطر الله هذا القبر شبائب الرحمة والرضوان ، وجازى
ساكنه الرضي - عن تونس الاسلامية وأهلها - جزاء الفضل
والاحسان •
آمين

تحريرا بالمهدية

ربيع الانور ١٣٤١ هـ

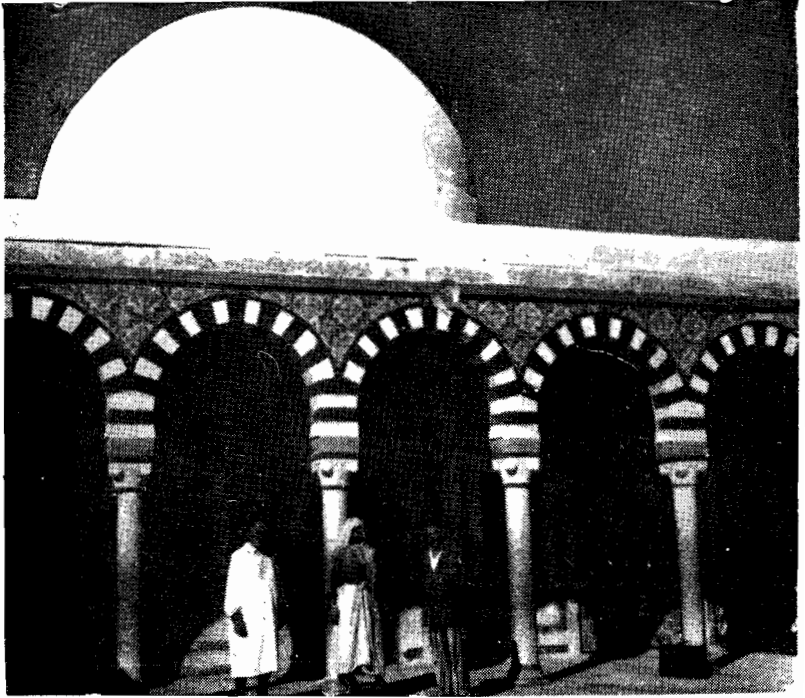
إصلاح غلط



صواب	خطأ	سطر	صحيفة
إفريقية	إفريقيا	٤	١٠
رووا	روو	١٢	١٠
ارشادهم	إشادهم	٦	١١
وعلى	وعلي	١	٢٥
ميات	مآت	٤	٢٦
العامل الاستاذ محمد	محمد العامل	١٣	٧٤

فهرس

الاهداء	٣
كلمة للقاري من لجنة البعث الثقافي الافريقي	٥
توطئة	٧
نشأة العلم الاسلامي	١٠
البعثة الدينية	١١
التابعون الداخولون افريقية والرواية عنهم	١٤
مشاركة الافريقيين في العلم	١٥
تتابع الطبقات	١٨
كيف دخلت الحنفية افريقية	٢٠
المدرسة المالكية	٢٤
تفرد المالكية بافريقية	٣٠
انفصال افريقية عن المشرق	٣٤
الامام المازري : نشأته وتعلمه	٤٩
ثناء العلماء عليه	٥٥
ارآء العلماء فيه	٥٧
آثاره العلمية : مؤلفاته	٥٩
نماذج من تجاربه	٧٥
هجرة الصقليين إلى إفريقية	٩٠
رفع التباس	٩٢
المازريون	٩٣
وفاته	٩٥
ضريحه	٩٥



مدخل ضريح الامام المازري بالمنستير



رباط المنستير . منظر من الداخل

